فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الحديد].

فلما ذكر تعالى إرسال الرسل جملة في الآية الأولى، أفرَدَ منهم في الآية بعدها نوحاً وإبراهيم عليهما السلام تشريفاً لهما بالذكر، أما نوح فلأنه أول الرسل إلى من في الأرض، وأما إبراهيم فلأنه انتسب إليه أكثر الأنبياء عليهم السلام وهو معظَّم في كل الشرائع، ففيه ذكر الخاص بعد العام[١].

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]: «وخص نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى بالذكر لأنهم أرباب الشرائع»[٢].

٢ ـ ومن فوائده: ثبوت المعنى المشترك فيه من غير معارض، وإن كان من فوائده أن يتبَين دخوله بعموم المعنى المشترك، وبخصوص المعنى المميَّز وإن لم يكن الحكم ثابتاً للمشترَك[٣]، فمجيء الخاص بعد العام لتثبيت وتأكيد إرادة المعنى في الخاص من جهتين: في لفظ العام لدخوله فيه، وفي لفظ الخاص لتعيينه بذاته، وهذا نص عليه لا يمكن معارضته.

ـ أن مسألة ذكر الخاص بعد العام ليس المراد بها المصطلح عليه عند أهل الأصول، بل كلُّ ما كان الأول فيه شاملاً للثاني فهو داخل في عطف الخاص على العام، توسعاً في الاصطلاح.

قال الزكشي: «ومنه ـ ذكر الخاص بعد العام ـ قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الرَّحمٰن]، وغَلّط بعضهم من عد هذه الآية من هذا النوع، من جهة أن فاكهة نكرة في سياق الإثبات فلا عموم لها.

وهو غلط لأمرين:

أحدهما: أنها في سياق الإثبات، وهو مقتضى العموم، كما ذكره القاضي أبو الطيب الطبري.

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٢٢٦، وينظر: تفسير أبي السعود ٨/ ٢١٢.
(٢) تفسير القرطبي ١٦/ ١١. (٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٠/ ١٨٩.

والثاني: أنه ليس المراد بالخاص والعام هاهنا المصطلح عليه في الأصول بل كل ما كان الأول فيه شاملاً للثاني.

وهذا الجواب أحسن من الأول؛ لعمومه بالنسبة إلى كل مجموع يشتمل على متعدِّد»[١].

ـ أن ذكر الخاص بعد العام يختلف عن الإيضاح بعد الإبهام من وجهين:

الأول: أن ذكر الخاص بعد العام يجيء بحرف العطف، وليس كذلك الإيضاح بعد الإبهام.

الثاني: أنه هنا يذكر فيه العام أولاً، والإيضاح بعد الإبهام يُذكر فيه المجمل[٢]، والله تعالى أعلم.

المطلب الثالث

التكرار

التكرار لغة: مصدر كرر إذا ردد وأعاد[٣].

واصطلاحاً: إعادة اللفظِ أو مرادفِه لتقرير معنى[٤].

ويأتي التكرار في الألفاظ والجمل والموضوعات، وغيرها، وهو موضوع تحدث عنه كثير من المفسرين والبلاغيين، ومع تفاوت الآراء فيه، إلا أن التفصيل في تقسيم التكرار، وما هو الوارد منه في القرآن يزيل اللبس في نفيِ وجودِه، وأن له مواضع يحسن فيها، ومواضع يقبح فيها.

ومن حيث القسمة العقلية، فلا يخلو التكرار من كونه: تكرار اللفظ والمعنى، أو تكرار المعنى دون اللفظ، أو تكرار اللفظ دون المعنى.

---

(١) البرهان ٢/ ٤٦٩.
(٢) البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني ٥٠٤.
(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة ٥/ ١٢٦، لسان العرب ٥/ ١٣٥.
(٤) ينظر: البرهان ٣/ ١٠، التعريفات ٩٠.

أما تكرار اللفظ والمعنى، بمعنى المطابقة التامة، فهذا لا يكاد يوجد في كتاب الله؛ لأن التكرار بهذه الطريقة لا فائدة فيه، بل يُعتبر عَيْباً في الكلام، وهذا من الأسباب التي جعلت المنكرين يبالغون في الإنكار، فيُنزَّه كتاب الله تعالى عنه.

وهذا ما جعل العلماء يؤلفون كثيراً في المتشابه اللفظي لبيان الفرق المعنوي[١].

وأما تكرار المعنى دون اللفظ فهو كثير في القرآن ولكنه لا يُعتبر تكراراً بالمعنى الحقيقي، ففي كل أسلوب زيادة في المعنى لا توجد في الموضع الآخر.

وأما تكرار اللفظ دون المعنى، فلا يكاد يخلو منه كلام، ولا يَسْتغنِي عنه متكلِّم، ووجودُه في الكلام من أساليب البلاغة، وهو محور الحديث في هذا المبحث.

ومن تأمل في كتاب الله تعالى وجد التَّكرار في مواضعه المناسبة عادةً من عادات بلاغة القرآن، كما هي سنة العرب في كلامها.

قال ابن قتيبة: «وأما تكرار الكلام من جنس واحد وبعضه يجزئ عن بعض، كتكراره في: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون]، وفي سورة الرحمٰن بقوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾ [الرَّحمٰن]، فقد أعلَمْتُك أنّ القرآن نزل بلسان القوم، وعلى مذاهبهم، ومن مذاهبهم التكرار: إرادة التوكيد والإفهام»[٢].

وقال ابن فارس: «وسنن العرب التكرير والإعادة إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر»[٣].

وقال الزركشي: «وقد غلط من أنكر كونه من أساليب الفصاحة، ظناً أنه

---

(١) مثل: درة التنزيل للإسكافي، وملاك التأويل لابن الزبير، وأسرار التكرار في القرآن للكرماني، وكشف المعاني في المتشابه المثاني لابن جماعة، وغيرها.

(٢) تأويل مشكل القرآن ١٤٩.

(٣) الصاحبي في فقه اللغة ١٥٨.

لا فائدة له، وليس كذلك، بل هو من محاسنها، لا سيما إذا تعلق بعضه ببعض، وذلك أن عادة العرب في خطاباتها إذ أبهمت بشيء إرادةً لتحقيقه وقرب وقوعه، أو قصدت الدعاء عليه كررته توكيداً، وكأنها تقيم تكراره مقام المقسم عليه، أو الاجتهاد في الدعاء عليه، حيث تقصِد الدعاء؛ وإنما نزل القرآن بلسانهم، وكانت مخاطباته جاريةً فيما بين بعضهم وبعض، وبهذا المسْلَك تستحكم الحجة عليهم في عجزهم عن المعارضة»[١].

وخلاصة القول: أن التكرار اللفظي ـ محل الحديث ـ أسلوب استخدمه العرب لأغراض متعددة، وهذا لا يعني أن تكرار اللفظ هو تكرار المعنى، بل تكرار اللفظ يضيف معنى جديداً، يُفهَم من سياق الكلام، ومن طريقة الأداء، ومن مقتضى الحال والمقام، فلا يخلو من فائدة وغرض بلاغي، سيتضح من خلال الأمثلة بإذن الله.

فعادة القرآن التكرار اللفظي، وكذلك التكرار المعنوي، وهنا التركيز على الأول، وأما الثاني فسيأتي في مبحث تكرار القصص بإذن الله تعالى في موضعه.

وفي القرآن لا يخلو تكرار لفظي من فائدة، ولاكتشاف فوائده لا بد من النظر في سياق الكلام، فقد يظهر في موضع ما لا يظهر في الآخر، أو يُقتَصر على جزءٍ في موضعٍ يكمّله الموضع الآخر.

وهذه بعض الأمثلة على التكرار اللفظي في القرآن معنونةً ببعض فوائده، ومنها:

١ ـ التأكيد.

وهذا الغرض يصاحب جميع مواضع التكرار، فمهما نَأت فوائد التَّكرار في القرآن فالتعليل بالتأكيد هو الأولى لتدبر القرآن على مقتضاه، بل لو لم تكن الإعادة لتقرير المعنى السابق لم يكن من التكرار[٢].

قال الرازي: «التكرار لأجل التأكيد كثير في القرآن»[٣].

---

(١) البرهان ٣/ ٩، وينظر: الإتقان ٢/ ١٤٤.
(٢) ينظر: البرهان ٣/ ١٠.
(٣) تفسير الرازي ١/ ١٦٦.

وقال القاسمي: «ووراء التأكيد سر أخص منه، وهو أن العرب متى ثبت أول كلامهم على مقصد، ثم اعترضها مقصد آخر، وأرادت الرجوع إلى الأول، قصدت ذكره: إما بتلك العبارة أو بقريب منها، وذلك عندهم مهيع من الفصاحة مسلوك، وفي كتاب الله تعالى مواضع في هذا المعنى»[١].

ومن الأمثلة:

ـ قوله تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المؤمنون].

فهذا التكرار لاستبعاد البعث، حيث قال الله عن المنكرين للبعث قبلها: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المؤمنون].

قال أبو السعود: «﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾ تكرير لتأكيد البعد؛ أي: بُعْدُ الوقوع أو الصحة»[٢].

وكرر أيضاً: أنَّكم؛ لاستبعاد الوقوع.

ـ وقوله تعالى: ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾﴾ [الواقعة].

المعنى: أنهم يفشون السلام بينهم، فيسلمون سلاماً بعد سلام[٣].

ـ وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾﴾ [الفجر].

قال السمرقندي: «قال ﷻ: ﴿كَلَّا﴾؛ يعني: حقاً ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾﴾؛ يعني: زلزلت الأرض زلزلة، والتكرار للتأكيد»[٤].

قال الرازي: «واعلم أن التكرار في قوله: ﴿دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾﴾ معناه: دكاً بعد دك؛ كقولك: حسبته باباً باباً، وعلمته حرفاً حرفاً؛ أي: كرر عليها الدك حتى صارت هباءً منثوراً»[٥].

فالمراد بالتكرار التأكيد والدلالة على الاستيعاب.

ـ وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٨].

---

(١) تفسير القاسمي ٢/ ١٨٨.
(٢) تفسير أبي السعود ٦/ ١٣٤.
(٣) ينظر: الكشاف ٤/ ٤٥٩.
(٤) تفسير السمرقندي ٣/ ٥٥٧.
(٥) تفسير الرازي ٣١/ ١٥٨، ينظر: الدر المصون ١٠/ ٧٩١.

قال البيضاوي: «﴿وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ تأكيد لقوله: ﴿وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وتشنيع عليهم وبيان»(١).

وقال النسفي(٢) ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ تأكيد لقوله: هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم»(٣).

وهذا التأكيد جاء بمعنى أوسع من الأول، وذلك أن الأول نفي للأخص، ثم عُطف عليه النفي الأعم، وهذا تأكيد لفظ مع زيادة معنى.

قال الرازي: «واعلم أن من الناس من قال: إنه لا فرق بين قوله: ﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾، وبين قوله: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ وكرر هذا الكلام بلفظين مختلفين؛ لأجل التأكيد، أما المحققون فقالوا: المغايرة حاصلة، وذلك لأنه ليس كل ما لم يكن في الكتاب لم يكن من عند الله، فإن الحكم الشرعي قد ثبت تارة بالكتاب، وتارة بالسُّنَّة، وتارة بالإجماع، وتارة بالقياس، والكل من عند الله»(٤).

وقال أبو حيان: «﴿وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ رد عليهم في إخبارهم بالكذب، وهذا تأكيد لقوله: ﴿وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ نفي أولاً أخص، إذ التعليل كان لأخص، ونفي هنا أعم؛ لأن الدعوى منهم كانت الأعم؛ لأن كونه من عند الله أعم من أن يكون في التوراة أو غيرها»(٥).

ـ وقوله تعالى: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾﴾ [المدَّثر].

قال البغوي: «كرره للتأكيد»(٦).

---

(١) تفسير البيضاوى ٢/ ٥٦.

(٢) هو: عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي أبو البركات الحنفي، مفسر، من أهم تصانيفه: «مدارك التنزيل وحقائق التأويل في التفسير»، و«كنز الدقائق في الفقه»، و«المنار في أصول الفقه»، مات سنة (٧١٠هـ)، له ترجمة في: الجواهر المضية ١/ ٢٧٠، الدرر الكامنة ٣/ ١٧، طبقات الأدنه وي ص٢٦٣.

(٣) تفسير النسفي ١/ ١٦٢.

(٤) تفسير الرازي ٨/ ٩٥.

(٥) البحر المحيط ٢/ ٥٢٨.

(٦) تفسير البغوي ٨/ ٢٦٩.

ومثله قال ابن الجوزي[١]، والنسفي[٢]، وابن جزي[٣].

وقال أبو السعود: «﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾﴾ تكرير للمبالغة، وثم للدلالة على أن الثانية أبلغ من الأولى»[٤].

قال ابن قتيبة:

«قال الله ﷻ: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾ [التكاثر].

وقال: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ [الشرح].

وقال: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾﴾ [القيامة].

وقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾﴾ [الانفطار].

كلّ هذا يراد به التأكيد للمعنى الذي كرّر به اللفظ»[٥].

٢ ـ أن لا يُنسَى الأول إذا طال الفاصل.

ـ كما في قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾ [آل عمران].

كرر: لا تحسبن لوجود الفاصل بينهما.

قال الفراء: «﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾ فردّ (تَحْسَبَنَّ) مرّتين ومعناهما ـ والله أعلم ـ لا تحسبنّ الذين يفرحون بما أتوا بمفازة من العذاب، ومثله كثير في التنزيل وغيره من كلام العرب»[٦].

وقال مكي: «وحسب الثاني مع المصدر للتأكيد، ولطول القصة»[٧].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة: ٢٥٣].

---

(١) زاد المسير ٨/٤٠٦.
(٢) تفسير النسفي ٤/٢٩٥.
(٣) التسهيل ٣/٢٥١.
(٤) تفسير أبي السعود ٩/٥٨.
(٥) تأويل مشكل القرآن ١٥٠.
(٦) معاني القرآن ٢/٤١٨.
(٧) الهداية إلى بلوغ النهاية ٢/١١٩٨، وينظر: التسهيل ١/٢٢٨.

كرر: ولو شاء لطول الفاصل بينهما.

قال الزمخشري: «﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ﴾ كرره للتأكيد»(١).

وقال ابن جزي: «﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ﴾ كرره تأكيداً، وليبني عليه ما بعده»(٢).

ـ وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤﴾ [يوسف].

كرر: رأيتهم تأكيداً لما بينهما من الفاصل.

قال الماوردي: «وفي إعادة قوله: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤﴾ وجهان:

أحدهما: تأكيداً للأول لبعد ما بينهما قاله الزجاج.

الثاني: أن الأول رؤيته لهم والثاني رؤيته لسجودهم»(٣).

قال ابن جزي: «﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤﴾ كرر الفعل لطول الكلام»(٤).

وقال القاسمي: «﴿وَٱلْقَمَرَ﴾ استئناف لبيان حالهم التي رآهم عليها، فلا تكرير، أو تأكيد للأولى تطرية لطول العهد»(٥).

٣ ـ التفخيم والتهويل.

ـ كما قال تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣﴾ [الحاقَّة].

كُررت الحاقة لتعظيم شأنها وتهويل أمرها.

قال أبو حيان: «وما: استفهام لا يراد حقيقته؛ بل التعظيم، وأكثر ما يربط بتكرار المبتدأ إذا أريد؛ يعني: التعظيم والتهويل»(٦).

ـ وقوله تعالى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣﴾ [القارعة].

تكرار لتفخيم شأن القارعة، وكل ما جاء على مثل هذا السياق.

---

(١) الكشاف ١/ ٣٢٦.
(٢) التسهيل ١/ ١٦٤.
(٣) النكت والعيون ٣/ ٧.
(٤) التسهيل ٢/ ١١.
(٥) تفسير القاسمي ٦/ ١٤٦.
(٦) البحر المحيط ٨/ ٣١٥.

قال السمين: «﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢﴾ ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢﴾ لا يكون ذلك إلَّا في مواضعِ التعظيم»(١).

ـ وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢﴾ [القدر].

ففي تكرار ذكر ليلة القدر تفخيم لشأنها ومكانتها.

قال أبو السعود: «وفي إظهار ليلة القدر في الموضعين من تأكيد التفخيم ما لا يخفى»(٢).

٤ ـ إظهار العناية والاهتمام.

وهذا عام لكل مكرر في القرآن، فتكرار اللفظ يُعطِيه أهميةً وعناية خاصة، وهذه عادة العرب(٣)، فما تكرار أسماء الله تعالى وصفاته، وآياته ومخلوقاته، والأوامر والنواهي، والوعد والوعيد، وغيرها، إلا للعناية بها.

ـ ومن الأمثلة قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة].

كرر: [أُولَئِكَ]؛ للاهتمام بهم، ورفع شأنهم وتمكنهم من وصفهم.

قال السمين: «وكرر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ تنبيهاً أنهم كما ثَبَتَت لهم الأُثْرَةُ بالهُدَى ثَبَتت لهم بالفلاح، فجُعِلت كل واحدةٍ من الأُثْرَتَيْنِ في تميُّزِهم بها عن غيرِهم بمثابةِ لو انفردت لَكَفَتْ مُمَيِّزة على حِدَتها»(٤).

وقال أبو حيان: «كرر ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ ليقع كل خبر منهما في جملة مستقلة، وهو آكد في المدح إذ صار الخبر مبنياً على مبتدأ»(٥).

ـ وقوله جل وعلا: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨٨﴾ [التوبة](٦).

---

(١) الدر المصون ١٠/ ١٩٤.
(٢) تفسير أبي السعود ٩/ ١٨٢، وينظر: المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٦، البحر المحيط ٨/ ٤٩٢.
(٣) الصاحبي في فقه اللغة ١٥٨.
(٤) الدر المصون ١/ ١٠٣.
(٥) البحر المحيط ١/ ١٦٩.
(٦) ينظر: البرهان ٣/ ١٣.

ـ وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠﴾ [الواقعة].

فالسابقون الثانية: تأكيد مع إضافة معان أخرى؛ كالتعظيم، والاهتمام، وفي هذا الترغيب لهذا السبق.

قال ابن جزي: «﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠﴾ الأول مبتدأ، والثاني خبره، على وجه التعظيم؛ كقولك: أنت أنت، أو على معنى: أن السابقين إلى طاعة الله هم السابقون إلى الجنة، وقيل: إن السابقون الثاني صفة للأول، أو تأكيد»(١).

٥ ـ الوعيد والتهديد.

ـ كما قال تعالى: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥﴾ [النَّبأ].

ـ وقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ [التَّكاثر].

ففي التكرار هنا وعيد وتهديد أشد وأبلغ مما لو اكتفي بالآية الأولى(٢).

قال الماوردي: «﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ [التَّكاثر] هذا وعيد وتهديد، ويحتمل أن يكون تكراره على وجه التأكيد والتغليظ»(٣).

وقال ابن عطية: «وقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣﴾ زجر ووعيد، ثم كرر تأكيداً، ويأخذ كل إنسان من الزجر والوعيد المكررين على قدر حظه من التوغل فيما يكره، هذا تأويل جمهور الناس»(٤).

وقال ابن الجوزي: «﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥﴾ وعيد على إثر وعيد»(٥).

وقال ابن كثير: «﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧﴾ [التَّكاثر] هذا تفسير الوعيد المتقدم، وهو قوله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا

(١) التسهيل ٣/ ١١٨.
(٢) ينظر: أسرار التكرار ٢٤٥، وينظر: الدر المصون ١١/ ٩٧.
(٣) النكت والعيون ٦/ ٣٣١.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٩، وينظر: تفسير أبي السعود ٩/ ٨٦.
(٥) زاد المسير ٩/ ٥.

سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٤﴾﴾ [التَّكاثر]»[١].

وقال القاسمي: «﴿كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ﴿٥﴾﴾ [النَّبأ] ردع للمتسائلين ووعيد لهم»[٢].

ـ وقوله تعالى: ﴿أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾ [القيامة].

في هذا التكرار زيادة زجر وتهديد.

قال الطبري: «هذا وعيد من الله على وعيد»[٣].

وقال ابن عطية: «وقوله تعالى: ﴿أَوۡلَىٰ لَكَ﴾ وعيد ثان، ثم كرر ذلك تأكيداً، والمعنى: ﴿أَوۡلَىٰ لَكَ﴾ الازدجار والانتهاء»[٤].

وقال ابن جزي: «﴿أَوۡلَىٰ لَكَ﴾ وعيد وتهديد ﴿فَأَوۡلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾ وعيد ثان، ثم كرر ذلك تأكيداً»[٥].

وقال النسفي: «﴿أَوۡلَىٰ لَكَ﴾ بمعنى: ويلٌ لك، وهو دعاء عليه بأن يليه ما يكره، ﴿ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾ كرر للتأكيد، كأنه قال: ويل لك فويل لك، ثم ويل لك فويل لك، وقيل: ويل لك يوم الموت وويل لك في القبر وويل لك حين البعث وويل لك في النار»[٦].

قال ابن جماعة[٧]: «قوله تعالى: ﴿أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾ وأما تكراره فإما تأكيد له، أو أن الأول للدنيا، والثاني للآخرة؛ أي: ويل له فيهما. والله أعلم»[٨].

---

(١) تفسير ابن كثير ٨/ ٤٧٤.
(٢) تفسير القاسمي ٩/ ٣٨٨.
(٣) تفسير الطبري ٢٤/ ٨٢.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٩.
(٥) التسهيل ٣/ ٢٦٠.
(٦) تفسير النسفي ٤/ ٣٠١.
(٧) هو: محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي، بدر الدين، أبو عبد الله الشافعي، قاض، عالم بالحديث وسائر علوم الدين، من تصانيفه: «المنهل الروي في الحديث النبوي»، و«كشف المعاني في المتشابه من المثاني»، و«غرة البيان لمن لم يسم في القرآن»، مات سنة (٧٣٣هـ)، له ترجمة في: شذرات الذهب ٦/ ١٠٥، فوات الوفيات ٢/ ٢٩٢.
(٨) كشف المعاني في المتشابه من المثاني ٣٦٩.

٦ ـ تعدد المتعلق؛ لتنوع الغرض الذي يبرز من خلال كلِّ قولٍ مكرَّر.

ـ كما في قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ [الرَّحمٰن].

فقد وردت في سورة الرحمٰن إحدى وثلاثين مرة، والصواب أن كل واحدة تتعلق بما قبلها، وذلك أن الله خاطب بها الثقلين، وعدد عليهم نعمه، وأعقب كل قصة من هذه بتقرير الثقلين وتعجيزهم لقيام الحجة عليهم، فتكررت الآية بتكرر القضايا[١].

قال ابن الجوزي: «فإن قيل ما الفائدة في تكرار قوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾﴾؟ الجواب: أن ذلك التكرير لتقرير النعم وتأكيد التذكير بها»[٢].

وقال أبو حيان: «ولما عدد تعالى نعمه، خاطب الثقلين بقوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾﴾»[٣].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر].

تكرر أربع مرات في سورة القمر.

قال ابن عطية: «وفائدة تكرار قوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ التأكيد والتحريض وتنبيه الأنفس»[٤].

ـ وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾﴾ [القمر]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾﴾ [القمر].

جاء هذا التكرار بعد كل قصة تختلف في أحداثها عن الأخرى، مما يدل على اختلاف متعلقها.

قال ابن عطية: «وفائدة تكرار قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾﴾ [القمر]، التخويف وهز النفس»[٥].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ [المرسلات].

---

(١) ينظر: ملاك التأويل ٢/ ٤٦٤.
(٢) زاد المسير ٨/ ١١٠.
(٣) البحر المحيط ٨/ ١٨٩.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٩٧.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ١٩٧.

تكررت عشر مرات في سورة المرسلات، وذلك أن الله ذكر قصصاً مختلفة، وأعقب كل قصة بهذه الآية، والقصص متغايرة، وكل آية ويل لمن كذب بها، فالمتعلق مختلف بينها.

قال أبو حيان: «﴿فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾﴾ [القمر: ٣٧]، توكيد وتوبيخ ذلك عند الطمس، وهذا عند تصبيح العذاب.

قيل: وفائدة تكرار هذا، وتكرار: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر]، التجرد عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين، للاتعاظ واستئناف التيقظ إذا سمعوا الحث على ذلك لئلا تستولي عليهم الغفلة، وهكذا حكم التكرير لقوله: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ [الرَّحمٰن]، عند كل نعمة عدها في سورة الرحمٰن. وقوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ [المرسلات]، عند كل آية أوردها في سورة والمرسلات، وكذلك تكرير القصص في أنفسها، لتكون العبرة حاضرة للقلوب، مذكورة في كل أوان»(١).

٧ ـ الترغيب أو الترهيب.

ـ ومن الأمثلة على الترغيب قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: ٧].

كرر هنا للتأكيد، وإفادة أن الإحسان الأول هو الفعل، والثاني هو الجزاء عليه، ترغيباً في الثواب والجزاء، وأن ذلك عائداً للمحسن، وفضل الله واسع.

قال الماوردي: «﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾؛ لأن الجزاء بالثواب يعود إليها، فصار ذلك إحساناً لها»(٢).

قال الرازي: «قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧] كرر الإحسان مبالغة في ذكر محاسنهم»(٣).

وقال ابن جزي: «﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ أحسنتم الأول: بمعنى

(١) البحر المحيط ٨/ ١٨٠.
(٢) النكت والعيون ٣/ ٢٣٠.
(٣) تفسير الرازي ٢٥/ ١٩.

الحسنات، والثاني: بمعنى الإحسان»[١].

وقال البقاعي: «﴿أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ فإن ذلك يوجب كوني معكم فأكسبكم عزاً في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما»[٢].

ـ ومن الأمثلة على الترهيب قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [المعارج].

أي: لا يسأل القريب عن حاله، وهو يراه في أسوأ الأحوال، فتشغله نفسه عن غيره[٣]، وهذا من تصوير الموقف بما يدعو إلى الرهبة منه، والاستعداد للنجاة فيه.

قال ابن قتيبة: «أي: لا يسأل ذو قرابة عن قرابته؛ ولكنهم ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ [المعارج: ١١]؛ أي: يُعَرَّفُونهم»[٤].

وقال الزركشي: «﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾﴾؛ أي: عن حميم لذهوله عنه»[٥].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

فكرر السيئة في الآية مرتين تأكيداً لسوئها وسوء عاقبتها، وإن كان المجازاة من الله ليست سيئة، ولكن سميت لمقابلة سببها، أو أنها سيئة تسوء صاحبها عند الجزاء، عدلاً من الله وحكمة، لا زيادة فيها ولا نقص.

قال ابن عطية: «وقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ﴾ قال الزجاج: سمى العقوبة باسم الذنب.

قال القاضي أبو محمد: وهذا إذا أخذنا السيئة في حق الله تعالى بمعنى المعصية، وذلك أن المجازاة من الله تعالى ليست سيئة إلا بأن سميت باسم موجبتها، وأما إن أخذنا السيئة بمعنى المعصية في حق البشر؛ أي: يسوء هذا

---

(١) التسهيل ٢/ ٩٩، وينظر: البحر المحيط ٦/ ١٠.
(٢) نظم الدرر ٤/ ٣٤٨.
(٣) ينظر: تفسير البغوي ٨/ ٢٢٢، تفسير ابن كثير ٨/ ٢٢٤.
(٤) غريب القرآن ٤٨٥.
(٥) البرهان ٤/ ١٦٥.

هذا ويسوء الآخر، فلسنا نحتاج إلى أن نقول: سمى العقوبة باسم الذنب، بل الفعل الأول والآخر: سيئة»[١].

وقال ابن جزي: «﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ سمى العقوبة باسم الذنب، وجعلها مثلها تحرزاً من الزيادة عليها»[٢].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ ١٣٠﴾ [الشعراء].

تأكيد بأن بطشهم عن ظلم وتكبر، دل عليه لفظ البطش، والتجَبُّر.

والمراد: إذا بطشتم كان البطش بطش الجبارين، وهذه من الصفات المذمومة التي تنفر منها الطباع السليمة.

قال الزمخشري: «﴿وَإِذَا بَطَشۡتُمۡ﴾ بسوط أو سيف كان ذلك ظلماً وعلواً»[٣].

وقال ابن الجوزي: «قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ ١٣٠﴾ المعنى: إذا ضربتم ضربتم بالسياط ضرب الجبارين، وإذا عاقبتم قتلتم، وإنما أنكر عليهم ذلك؛ لأنه صدر عن ظلم، إذ لو ضربوا بالسيف أو بالسوط في حقٍّ ما ليموا»[٤].

إلى غير ذلك من الأغراض والفوائد التي لا تنقضي، فسبحان الحكيم العليم.

وبعد التأمل في هذا المبحث تبين لي:

١ ـ أن أهم فائدة من فوائد التكرار: هي التأكيد والتقرير، ويتبعها ما يتبعها من خلال التأمل في السياق.

قال الزركشي: «وفائدة التكرار العظمى: التقرير»[٥].

وقال القرطبي: «قال الله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٣﴾ [الرَّحمٰن]، ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٥﴾ [المرسلات]، ﴿كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٦.
(٢) التسهيل ٣/ ٩.
(٣) الكشاف ٣/ ٣٣١، تفسير البيضاوي ٤/ ٢٤٨.
(٤) زاد المسير ٦/ ١٣٦.
(٥) البرهان ٣/ ١٠.

﴿٥﴾ [النَّبأ]، ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ [الشرح] كل هذا على التأكيد»[١].

٢ ـ أن الفوائد من التكرار غير التأكيد كثيرة، ولا يمكن حصرها بعدد، بل الذي يحدد ذلك السياق، وإنما يُحتاج إلى التكرار ويحسن استعماله في الأمور المهمَّة التي تعظم العناية بها، ويُخَاف بتركه وقوع الغلط والنسيان فيها، أو الاستهانة بقدرها، ومن فوائده على سبيل الإجمال: التأكيد، والتعظيم والتفخيم، والوعيد والتهديد، وبيان النعمة والمنة، والتذكير، والترغيب، والترهيب، والعناية والاهتمام بالأمر، والإشارة إلى تعدد المتعلق، وغير ذلك لمن تدبر كتاب الله.

٣ ـ أن التكرار في القرآن جاء في آية واحد، وفي آيتين متتاليتين، وفي آيات متفرقة، وجاء في الحرف، وفي الكلمة، وفي الجملة، ولكل تكرار فائدة، وقد اهتم العلماء بهذا الموضوع استنباطاً وتأليفاً، وهو من أعظم ما يعين على تدبر القرآن.

٤ ـ أن التكرار أعم من التأكيد؛ لأنه يشمل تكرار التأسيس، وهو أبلغ من التأكيد.

ولذا جعل بعض المفسرين هذه الأمثلة من التأسيس لا التأكيد، وبهذا تجتمع الأقوال كما سبق، فإن التكرار يشمل نوعي التأكيد: اللفظي، والتأسيسي، فمن قال إنه تأكيد، فمراده تأكيد الأمر بتكرار الإنشاء، لا أنه تأكيد لفظي مجرد، ولو كان تأكيداً لفظياً لما فُصِل بالعطف، ولا بغيره[٢].

ومما يقوي هذه النتيجة القاعدة المشهورة: التأسيس أولى من التأكيد، وذلك بالنظر إلى اختلاف المتعلق بها قبلها.

ويؤيدها كذلك القاعدة التي سبقت الإشارة إليها: أن الزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى.

فعادة القرآن: تكرار اللفظ لزيادة المعنى.

---

(١) تفسير القرطبي ٢٠/٢٢٦.

(٢) ينظر: البرهان ٣/١٢.

وكما أن الإيجاز والاختصار في موضعه المناسب بلاغة، فكذلك الإطناب بالتكرار في موضعه المناسب بلاغة، فصار القرآن مرجع البلاغة ومنبعها.

٥ ـ التكرار فيه مراعاة مقتضى الحال، وهذا ظاهر في أسلوب القرآن.

فالقرآن الكريم خاطب جميع الناس على اختلاف عقولهم وقبولهم، فمنهم المصدق وتكفيه الخلاصة من الكلام، ومنهم المعاند والمتكبر الذي يحتاج إلى تكرار وإقناع.

قال الجاحظ: «ورأينا الله تبارك وتعالى إذا خاطب العربَ والأَعْرَابَ أخرجَ الكلامَ مُخْرَجَ الإشارة والوحي والحذف، وإذا خَاطَبَ بني إسرائيل أو حكَى عنهم جعلَه مبسوطاً وزاد في الكلام»(١).

ـ كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾ [غافر].

كرر النداء للقوم ـ والله أعلم ـ مراعاة لحالهم، ورغبة في إقناعهم، واستمالة قلوبهم.

ـ وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾ [مريم].

كرر النداء لأبيه مراعاة لحاله، ورغبة في استمالة قلبه لقبول الحق.

٦ ـ أن التكرار اللفظي في القرآن تكرار لما يحتاجه الخلق، فتكرار أسماء الله تعالى وصفاته، وأوامره ونواهيه، وآياته الكونية، وغيرها، تلبية لحاجةِ التَّالي، وما ينبغي له أن يصحَبَه بقلبه وجوارحِه بعد قراءته بلسانه.

(١) الحيوان ١/ ٩٤.

٧ ـ أنّ التكرار من أبرز جوانب البلاغة القرآنية وهو مظهر من مظاهر التحدِّي في كتاب الله المعجز الذي لا تنقضي عجائبه ولا يخلق من كثرة الردّ، والله أعلم.

المطلب الرابع

التذييل

التذييل لغة: آخر كل شيء، مصدر ذيل للمبالغة، وذيَّل فلان ثوبه تذييلاً؛ أي: طوله[١].

واصطلاحاً: أن يؤتى بعد تمام الكلام وحسن السكوت عليه، بكلام مستقل في معنى الأول؛ تحقيقاً لدلالة منطوقه، أو مفهومه؛ ليكون معه كالدليل، ويظهرُ المعنى عند مَن لم يَفهم، ويَكمُل عند من عرفه[٢].

قال القزويني: «هو تعقيب الجملة بحملة تشتمل على معناها للتوكيد»[٣].

وقال الباقلاني: «وهو ضرب من التأكيد»[٤].

وقد عُنِيَ بعض المفسرين بِبَيَان المناسبةِ بين الجمل، أو بين الآيات، أو بين السور واستنبطوا وجوهَ ارتباطٍ دقيقة.

فالجملة قد تكون تأكيداً لما قبلها، أو بياناً، أو تفسيراً، أو اعتراضاً تذييلياً، ولهذا أمثلتُه الكثيرة[٥].

ومن خلال التعريف؛ فمكان التذييل عند العرب كالختم في نهاية الحديث عن موضوع هام، فيُقَرَّر للسامع بطريقة التذييل، وهو من أسباب الإطناب المحمُود؛ لكونه بياناً وكمالاً للمعنى، ولذا جاء في القرآن كثيراً، **ومن أمثلته**:

---

(١) ينظر: لسان العرب ١١/ ٢٦٠.
(٢) ينظر: الطراز ٣/ ١١١، البرهان ٣/ ٦٨، الإتقان ٢/ ١٦٠.
(٣) الإيضاح في علوم البلاغة ٢٠٠.
(٤) إعجاز القرآن ١٥٥.
(٥) مباحث في علوم القرآن ٩٧.

ـ قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الأعراف].

فقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾، جملةٌ مفيدة اكتملَ معناها، والمراد: تعظَّموا عن قبول الآيات، وهو أعظمُ الكبر أن يتهاون العبد برسالة ربه بعد تَبَيُّنها.

وقوله بعدها: ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾، كلام مستقل؛ أي: قوماً يعملون بما يكرهه الله من المعاصي والفسق عتوّاً وتمرّداً كفاراً[١]، فلذلك استكبروا عنها وتجرؤوا على ردّها[٢]، فالجملةُ الثانية تذييلٌ لتأكيد مضمون ما قبلها، فأفادت زيادة في المعنى.

قال الرازي: «﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ مصرين على الجرم والذنب»[٣].

وقال الفيروزآبادي: «ونبّه بقوله: ﴿مُّجْرِمِينَ ﴿٥٦﴾﴾ أَن حامِلَهم على ذلك ما تقدَّم من جُرمهم، وأَنَّ ذلك دأْبهم لا أَنه شيء حادث منهم»[٤].

وقال أبو السعود: «﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ جملة معترضة مقررة لمضمون ما قبلها»[٥].

ـ وقوله جل وعلا: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [المؤمنون].

فقوله: ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾﴾؛ أي: وصْفُهُم العلو والقهر والفساد في الأرض؛ فلهذا صدر منهم الاستكبار، وذلك غيرُ مستكثَر منهم، فهذه الجملة تذييل لما قبلها؛ تقريراً لمعنى الجملة الأولى[٦].

وقال أبو السعود: «﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾﴾، متكبرين متمردين، ﴿فَقَالُوٓا۟﴾[٧] عطف على ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾، وما بينهما اعتراض مقرر للاستكبار؛

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ١٣/ ٧٠.
(٢) ينظر: الكشاف٢/ ٣٤٣.
(٣) تفسير الرازي ١٤/ ١٧٨.
(٤) بصائر ذوي التمييز ٤/ ٣٢٥.
(٥) تفسير أبي السعود ٣/ ٢٦٥.
(٦) ينظر: ملاك التأويل ٢/ ٢٦٤، تفسير السعدي ٥٥٢.
(٧) تمام الآية: ﴿فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المؤمنون].

أي: كانوا قوماً عادتهم الاستكبار والتمرد»[١].

ـ وقوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الزُّخرف].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: تذييل؛ أي: فذلك شأن الأمم مع الرسل، وقوله: ﴿مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ﴾ جعل التذييل هنا من التفسير[٢].

قال ابن عاشور: «﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ جملة معترضة لتسلية النبي ﷺ على تمسك المشركين بدين آبائهم، والإشارة إلى المذكور من قولهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾؛ أي: ومثل قولهم ذلك، قال المترفون من أهل القرى المرسَل إليهم من قبلك»[٣].

ويُقسَّم التذييل في القرآن قسمين:

القسم الأول: ما يجري مجرى المثل: إذا كان مستقلاً بنفسه لإفادة المراد، فيشتهِر المعنى بكثرة دورانه على الألسنة، لإرادة العبرة والتأسي[٤].

ـ كقوله تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر].

فالجملة الأخيرة تذييل؛ لاشتمالها على تحقيق مضمون ما قبلها، وجرت مجرى المثل، فلا يُخَصَّص مضمونها بمخاطب معين[٥].

قال ابن عاشور: «وقوله: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ تذييل؛ لتحقيق هذه الأخبار، بأن المخبر بها هو الخبير بها وبغيرها، ولا يخبرك أحد مثل ما يخبرك هو.

---

(١) تفسير أبي السعود ٦/ ١٣٦.
(٢) ينظر: البرهان ٣/ ٧٠.
(٣) التحرير والتنوير ٢٥/ ١٨٨.
(٤) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة ٢٠٠، البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني ٥١٠.
(٥) ينظر: البرهان ٣/ ٦٩، الإتقان ٢/ ١٦٠.

وعبَّر بفعل الإنباء؛ لأن النبأ: هو الخبر عن حدث خطير مهم.

والخطاب في قوله: ﴿يُنَبِّئُكَ﴾ لكل من يصح منه سماع هذا الكلام؛ لأن هذه الجملة أرسلت مرسل الأمثال فلا ينبغي تخصيص مضمونه بمخاطب معين»[(١)].

القسم الثاني: ما لا يجري مجرى المثل لعدم استقلاله بإفادة المراد، وتوقُّفِه على ما قبله.

وفائدته: تحقيقُ ما قبله وتأكيدُه.

ـ كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ [سبأ].

ففي الآية جملتان:

الأولى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ﴾، والمراد: بهم أصحاب سد مأرب ـ سبأ ـ كان لهم جنتان عن يمين وشمال، فأعرضوا وجحدوا نعم الله، فعاقبهم الله وأبدلهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل، وهذا معنى هذه الآية، ثم جاءت الجملة الثانية: وهي قوله جل وعلا: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ تذييل يؤكّد مفهوم الجملة التي جاءت قبلها، وهي ممّا لا يجري المثل، إذ المعنى: لا نجزي مثل هذا الجزاء المعجّل الشامل إلّا من كان كفوراً، فإذا جعلنا الجزاء عاماً كان الثاني مفيداً فائدة زائدة[(٢)].

قال القزويني: «﴿وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾، فالمعنى: وهل يجازى ذلك الجزاء إلا الكفور»[(٣)].

وقد اجتمع مثال القسمين في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ [الأنبياء].

في هذه الآية إطناب بالتذييل في موضعين، كلٌّ واحد منهما محققٌ لفائدتها، ودالٌّ على مضمونها.

---

(١) التحرير والتنوير ٢٢/ ١٤٠.
(٢) ينظر: البرهان ٣/ ٦٩.
(٣) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة ٢٠٠.

أولهما قوله تعالى: ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ وهذا تذييل لم يجر مجرى المثل.

فهذا الاستفهام وارد على جهة الإنكار عليهم فى زعمهم الخلود، وأراد أنه لا تتصور أن تكون أنت ميتاً، وهم خالدون بعدك، فإذا كان لا خلود لك مع ما اختصصت به من المكانة والزُّلْفة عند الله تعالى فهم أحق بالانقطاع والزوال لا محالة.

والثاني قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ وهو جار مَجْرَى المثل[١].

فهذا أيضاً توكيد لقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾؛ لأن هذا العموم قاطع لكل ظنٍّ يطمع بالخلود[٢].

واجتمع مثال القسمين أيضاً في قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة].

فمثال القسم الأول:

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ تذييل خرج مخرج المثل؛ لتحقيق ما سبقه من حقيقة الوعد، وأنه لا أحد أوفى من الله.

قال الرازي: «﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ وهو غاية في التأكيد»[٣].

وقال أبو السعود: «﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من حقيقة الوعد على نهج المبالغة في كونه سبحانه أوفى بالعهد من كل واف»[٤].

ومثال القسم الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ تحقيق لما قبلها وتأكيد له، فالكلام قد تم

---

(١) ينظر: بغية الإيضاح ١/ ١٩٦.
(٢) ينظر: الطراز لأسرار البلاغة ٣/ ١١١. (٣) تفسير الرازي ١٦/ ١٦٠.
(٤) تفسير أبي السعود ٤/ ١٠٥.

وكمل قبل ذلك، ثم أتت هذه الجملة للتذييل، ولم تخرج مخرج المثل، فسبحان المتكلم بهذا الكلام.

قال الزجاج: «نصب وَعْداً على المعنى؛ لأن معنى قوله: ﴿بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ وعْدُهم الجنة وعداً عليه حقاً»(١).

وقال ابن عطية: «وقوله سبحانه: ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ مصدر مؤكد؛ لأن ما تقدم من الآية، هو في معنى الوعد، فجاء هو مؤكداً لما تقدم من قوله: ﴿بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾»(٢).

وقال السمين: «قوله: ﴿وَعْدًا﴾ منصوبٌ على المصدر المؤكد لمضمون الجملة؛ لأنَّ معنى ﴿ٱشْتَرَىٰ﴾ معنى وعدَهم بذلك، فهو نظير: هذا ابني حقاً»(٣).

ويُقَسَّم التذييل باعتبار تأكيده لمنطوق الكلام السابق أو مفهومه إلى قسمين:

القسم الأول: أن تكون الجملة الثانية تأكيداً لمنطوق الجملة الأولى؛ بأن يكون فيه اشتراك بين الجملتين في اللفظ.

ـ كما في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء].

في هذه الآية إطناب على طريقة التذييل، فالجملة الأولى بيان لمجيء الحق وزهوق الباطل، ثم أكد هذا بالجملة الثانية، لتكون كالدليل عليها، ويظهر المعنى فيها ويكتمل، فأكدت منطوق الجملة التي جاءت قبلها، وعبارتها ممّا يجري مجْرى المثل(٤).

ـ وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَـٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَـٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ [سبأ].

في هذه الآية جملتان:

الأولى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَـٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ﴾.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٤٧١.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٩٩.
(٣) الدر المصون ٦/ ١٢٨.
(٤) ينظر: البرهان ٣/ ٦٩.

الثانية: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾، وهي تأكيد لمنطوق الجملة الأولى.

لأن حاصل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ﴾، ظاهرُه وصريحُه يدلان على أن الوجه في استحقاقهم لما استحقوه من نزول العذاب إنما كان من أجل كفرهم؛ لأن قوله: ﴿بِمَا كَفَرُواْ﴾ تعليلٌ للجزاء من أجلِ الكفر، فقوله بعده: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾، تقريرٌ وتأكيد لما سبق من الجملة الأولى وتحقيق لها؛ لأنه دال عليها ومحقق لفائدتها(١).

القسم الثاني: أن تكون الجملة الثانية تأكيداً لمفهوم الجملة الأولى؛ أي: يكونَ التأكيدُ لمعناها دون أن يكونَ بين الجملتين اشتراكٌ لفظي.

ـ كما في قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾ [النساء].

فتذييل الآية بقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾، تأكيد لمفهوم الآية قبله.

قال القاسمي: «﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾ [النساء: ٦]؛ أي: كافياً في الشهادة عليكم بالدفع والقبض، أو محاسباً، فلا تخالفوا ما أمركم به، ولا يخفى موقع هذا التذييل هنا، فإن الوصي يحاسب على ما في يده.

وفيه وعيدٌ لوليّ اليتيم وإعلام له أنه تعالى يعلم باطنه كما يعلم ظاهره، لئلا ينوي أو يعمل في ماله ما لا يحل، ويقوم بالأمانة التامة في ذلك إلى أن يصل إليه ماله»(٢).

ـ وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الأحقاف].

---

(١) ينظر: الطراز لأسرار البلاغة ٢/ ١١٩.
(٢) تفسير القاسمي ٣/ ٣٢.

ففي ذكر الإيمان بعد إيمان الشاهد بيانٌ لظلمهم، ومفهوم جواب الشرط هو اعترافهم بالظلم، فجاء تذييل الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾ لتثبيت مفهوم جواب الشرط وتوكيده، وهذا مشعر بأنَّ كفرهم به هو سبب ضلالهم المسبَّب عن ظلمهم.

وعادة القرآن التذييل في أواخر الآيات، وأمثلته كثيرة منها:

ـ قوله تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾ [التوبة].

فقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٧﴾ تذييل لتأكيد الفضل والمدح لمن جاءت صفاتهم في الآية، وأن المؤمن الحقيقي هو من اتصف بهذه الصفات[1].

قال ابن عطية: «ثم قوَّاه تعالى بقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ وهذه الألفاظ في غاية الإيجاز وبراعة المعنى»[2].

وقال أبو السعود: «﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣﴾؛ أي: الموصوفين بالنعوت المذكورة، ووضع المؤمنين موضع ضميرهم؛ للتنبيه على أن ملاك الأمر هو الإيمان، وأن المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للإيذان بخروجه عن حد البيان»[3].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٥٤﴾ [آل عمران: ١٥٤].

ثم قوله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ١٥٥﴾ [آل عمران].

ففي نهاية كل آيةٍ تذييلٌ للآية بعد انتهاء المعنى فيها، فقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٤﴾، وقوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ١٣٥﴾،

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٢١٩.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٨٠.
(٣) تفسير أبي السعود ٤/ ١٠٧.

جئنَ بعد تمام المعنى، فكُنَّ في موقع التذييل الذي أكد مضمون الآية وأكسبها جمالاً على جمالها، وهكذا ختام كثير من الآيات.

ـ وقوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأعراف].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأعراف].

فقوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ وقوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾، تذييلٌ مسوق لبيان سوء حال المخاطبين وتحذيرهم؛ أي: ما تتعظون إلا قليلاً، وما منَّا عليكم بذلك إلا لتشكروا الله بمتابعة ما أنزل إليكم، وترك من دونه، فإذا اتعظتم وشكرتم اتبعتم الحق، ودامت النعم[1].

ـ وقوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾ [البقرة].

قال أبو السعود: «﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ تذييل لما سبق، مقرر لمضمونه وفيه إيذان بأن إيتاء النبوة من فضله العظيم؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾ [الإسراء: ٨٧]، وأن حرمان من حرم ذلك ليس لضيق ساحة فضله، بل لمشيئته الجارية على سنن الحكمة البالغة»[2].

ومن خلال أمثلة التذييل في القرآن تبين لي ما يأتي:

١ ـ أن للتذييل في القرآن موقعاً جليلاً، ومكاناً شريفاً؛ لأن المعنى يزدادُ به انشراحاً، والمقصدُ اتضاحاً.

٢ ـ أن في التذييل المناسبة بين ختام الآية ومضمونها، ومن الأدلة على ذلك: توقُّعُ معاذ بن جبل رضي الله عنه لما جاء من تذييلٍ في آخر الآيات حين قال: فتبارك الله أحسن الخالقين، حيث ضحك رسول الله ﷺ بعد أن سمع هذه العبارة من معاذ، ولما سأله معاذ: مم ضحكت يا رسول الله؟ قال عليه

(١) ينظر: تفسير القاسمي ٥/ ٥، ١١.
(٢) تفسير أبي السعود ١/ ١٤٢.

الصلاة والسلام: «**بها ختمت**»[١].

٣ ـ ختام الآيات بأسماء الله تعالى وصفاته تذييل بما يكون حثاً على مضمونها، كما في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾ [البقرة].

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة].

وتجلَّى بعد التأمل في الآيات السابقة أن التوبة موضوع أساسي فيها، وقد صرح الله بذكرها في كل الآيات، فناسب تذييل الآيات بذكر اسم [التَّوَّابُ الرَّحِيمُ]، حثاً للعباد عليها، وترغيباً لهم فيها.

وسيأتي تفصيلٌ أكثر ـ بإذن الله ـ في مبحث اقتران أسماء الله تعالى ببعض.

٤ ـ أن الجملة التذييلية من المرجحات للمراد بمضمون الآية عند الخلاف في معناها، فمثلاً:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٥/٥٦ (٤٦٥٧)، وقال: لا يروى هذا الحديث عن زيد بن الحارث إلا بهذا الإسناد، تفرد به آدم، وقال الهيثمي: وفيه جابر الجعفي وهو ضعيف وقد وثق، وبقية رجاله رجال الصحيح. ينظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦/٤٤٨، وروي أنه لما قرأها النبي ﷺ، قال عمر رضي الله عنه: تبارك الله أحسن الخالقين، فنزلت: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾، أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٦/١٧ (٥٦٦٢)، وقال: لم يرو هذا الحديث عن سالم بن عجلان الأفطس إلا رباح بن أبي معروف، تفرد به بشر بن السري.

ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾﴾ [إبراهيم].

في المراد بأيام الله ثلاثة أقوال:

القول الأول: الأيام التي عَذب الله فيها الأمم السابقة، فتكون مختصةً بالنقمة والعذاب، وهو ما رجحه القاسمي(١).

القول الثاني: الأيام التي أنعم الله فيها على السابقين، فتكون مختصة بالنعمة، وهو ما رجحه الطبري(٢)، وابن قتيبة(٣).

القول الثالث: أنها تشتمل على كلا المعنيين، وممن ذهب إلى ذلك: الفراء(٤)، والزجاج(٥)، والرازي(٦)، وابن عطية(٧)، والبيضاوي(٨)، والنسفي(٩)، والقرطبي(١٠)، وأبو السعود(١١)، وابن عاشور(١٢).

والراجح ـ والله أعلم ـ القول الأخير.

لأنه قول أكثر المفسرين أولاً، ولأن فيه إعمال القرآن بكل ما تحتمله ألفاظه ثانياً.

وعليه فيكون تذكيرهم بأيام الله يحمل معنى الترغيب والترهيب، فالترغيب يكون بتذكيرهم بنعم الله عليهم وعلى مَن قبلهم ممن آمن بالرسل، والترهيب بتذكيرهم بأس الله وانتقامه ممن كذبَ بالرسل فيما سلف من الأيام، ومما يرجحه: تذييل الآية بقوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾﴾ إذ الصبرُ مناسب للزجر، لما في التخويف من الحث على ترك المعصية خِيفَة الوقوع في سوء العاقبة.

والإنعامُ يبعث النفسَ على الشكر.

---

(١) تفسير القاسمي ٤/ ٤٦٣.
(٢) تفسير الطبري ١٦/ ٥٢٠.
(٣) غريب القرآن ٢٣٠.
(٤) معاني القرآن ٢/ ٦٨.
(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥٥.
(٦) تفسير الرازي ١٩/ ٦٦.
(٧) المحرر الوجيز ٣/ ٣٢٦.
(٨) تفسير البيضاوي ٣/ ٣٣٨.
(٩) تفسير النسفي ٢/ ٢٢٣.
(١٠) تفسير القرطبي ٨/ ٣٨٦.
(١١) تفسير أبي السعود ٥/ ٣٣.
(١٢) التحرير والتنوير ١٣/ ١٩٠.

فكان ذكر الصبر والشكر في ذيل الآية مناسباً لمعنى البؤس والنعيم في أيام الله، والله أعلم[١].

قال الزمخشري: «﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾ يصبر على بلاء الله ويشكر نعماءه، فإذا سمع بما أنزل الله من البلاء على الأمم، أو أفاض عليهم من النعم، تنبه على ما يجب عليه من الصبر والشكر واعتبر»[٢].

وقال ابن تيمية: «﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ﴾، وهي تتناول أيام نعمه وأيام نقمه ليشكروا ويعتبروا»[٣].

٥ ـ إمكانية تقسيم التذييل باعتبارات مختلفة:

أ ـ كاعتبار جريانه مجرى المثل أو لا.

ب ـ أو اعتبار تأكيده لمفهوم ما سبقه أو منطوقه.

ج ـ أو اعتبار غرضه؛ كالتأكيد أو بيان السبب أو الحث أو التحذير، إلى غير ذلك من الأغراض.

٦ ـ من خلال النظر في أشعار العرب نجد أنهم أكثروا من التذييل، حتى صارت بعضُ أمثالِهم جزءاً من أبيات الشعراء.

ومن أمثلة ذلك، قوله المتنبي:

مَا كلُّ ما يَتَمَنّى المرء يُدْرِكُهُ تجري الرياح بما لا تشتهي السفن[٤]

فمراده: أن أعداءه يتمنون موته، ولا يدركون ما يتمنون، فالأمور تسير على عكس رغباتهم، فالرياح تجري، وليست برغبة السفن في كل أحوالها وجريانها؛ لأن السفن إنما ترضى بالرياح الطيبة، والمراد بالسفن: أهلها[٥].

---

(١) ينظر: تفسير الرازي ١٩/ ٦٧، زاد المسير ٤/ ٣٤٦، البحر المحيط ٨/ ٤٥، تفسير السعدي ٤٢١.

(٢) الكشاف ٢/ ٥٠٨.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٦/ ١٩٤.

(٤) ديوان المتنبي ٢/ ٢٣٥.

(٥) ينظر: شرح ديوان المتنبي ٢/ ٢٣٥، الأمثال السائرة من شعر المتنبي ٧٢.

فالشطر الثاني من هذا البيت تذييل، أكّدَ به الشاعر منطوق الشطر الأول منه، وقد جرى مثلاً على ألسنة العرب.

وكذا قول زهير:

تـراهُ إذا مـا جـئـتـهُ مـتـهـلـلاً كأنكَ تعطيهِ الذي أنتَ سائلُهْ[1]

أراد أن فرَحَهُ بما يعطي أكثر من فرحِهِ بما يأخذ، فزاد في وصف السخاء منه.

فالشطر الثاني من هذا البيت تذييل، أكّد به الشاعر منطوق الشطر الأول منه، فالتذييل من عادة العرب، والقرآن نزل بلغتهم، وأعجزهم، وجاء بهذا الأسلوب في أعلى صوَرِه، وغاية جماله، والله تعالى أعلم وأحكم.

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى ٢٩.

الباب الثالث

عادات القرآن في تراكيبه

وفيه ثلاثة فصول:

- الفصل الأول: عادات القرآن في قرن بعض الألفاظ ببعض.
- الفصل الثاني: عادات القرآن في قصصه.
- الفصل الثالث: عادات القرآن في خطاباته.

الفصل الأول

عادات القرآن
في قرن بعض الألفاظ ببعض

وفيه خمسة مباحث:

- المبحث الأول: قرن بعض الأسماء ببعض.
- المبحث الثاني: قرن بعض الآيات الكونية ببعض.
- المبحث الثالث: قرن بعض الأحكام ببعض.
- المبحث الرابع: قرن الترغيب بالترهيب.
- المبحث الخامس: ما يضاف إلى الله من الخير والشر.

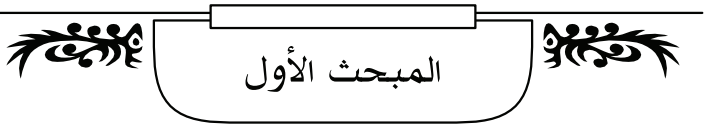

قرن بعض الأسماء ببعض

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول: قرن بعض أسماء الله جل وعلا ببعض.**
- **المطلب الثاني: قرن بعض أسماء البشر ببعض.**
- **المطلب الثالث: قرن بعض الطوائف ببعض.**

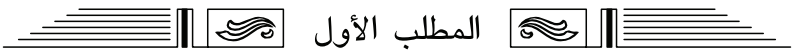

قرن بعض أسماء الله جل وعلا ببعض

جميع أسماء الله تعالى حسنى، وكلها عظمى، وأجلّ العلوم العلمُ بالله ﷻ، ومن العلم به سبحانه: العلمُ بأسمائه الحسنى، والحسنُ والعظمة في أسماء الله جل وعلا يدل عليه كل اسم بمفرده في موضعه، وباعتبار جمعه إلى غيره، فيحصل بجمع الاسم إلى الآخر، واقترانهما كمال فوق الكمال.

وقد أمر الله بدعائه بأسمائه؛ لما تحمله من المعاني التي تدل على كماله، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

كما أن من صفات الله ﷻ صفاتٍ تحصل من اقتران الأسماء.

قال ابن القيم: «مِن صفات الله ﷻ صفةٌ تحصل من اقتران الاسمين والوصفين بالآخر، وذلك قدر زائد على مفرديهما، نحو: الغني الحميد، والعفو القدير، والحميد المجيد، وكذا عامة الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن، فإن الغِنَى صفة كمال، والحمد كذلك، واجتماع الغنى مع الحمد كمال آخر، فله ثناءٌ من غِنَاه وثناء من حمده، وثناء من اجتماعهما، وكذا العفو القدير، والحميد المجيد، والعزيز الحكيم، فتأمله فإنه من أشرف

المعارف»[١].

وقال السعدي: «عليك بتتبعها في جميع الآيات المختومة بها، تجدها في غاية المناسبة، وتدلك على أن الشرع والأمر والخلق كله صادر عن أسمائه وصفاته، ومرتبط بها، وهذا بابٌ عظيم في معرفة الله ومعرفة أحكامه، وهو من أجل المعارف، وأشرف العلوم»[٢].

وقد جاء ختام الآيات باقتران الأسماء في غاية المناسبة، تدركُ ذلك العقول السليمة، والفطر القويمة.

ومما يؤيد هذا: أنه عندما سمع بعض الأعراب قارئاً يقرأ: والله غفور رحيم، مكان قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾، في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المائدة]، فقال الأعرابي: ليس هذا كلام الله، فقال: أتكَذِّب بكلام الله؟ فقال: لا، ولكن لا يحسن هذا؛ فرجع القارئ إلى خطئه، فقال: ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾، فقال: صدقت[٣].

فعادة القرآن قرْن أسماء الله تعالى كثيراً ـ وذلك في مواضعِهِ أبلغ ـ وخاصةً في أواخر الآيات.

قال الرازي: «إذا قُرن بغيره صار أبلغ، نحو قولنا: حي، فإذا قيل: الحي القيوم، أو الحي الذي لا يموت، كان أبلغ»[٤].

ومن الأمثلة على اقتران الأسماء الحسنى:

❐ أولاً: اقتران الرحيم بالغفور:

ورد اقتران اسم الله تعالى الرحيم باسمه الغفور في كتابه الكريم في واحد وستين موضعاً؛ اثنين وأربعين موضعاً بلفظ: غفور رحيم، وخمسة عشر موضعاً بلفظ: غفوراً رحيماً، وسبعة بلفظ: الغفور الرحيم، وسبعة بلفظ: لغفور رحيم.

---

(١) بدائع الفوائد ١/ ١٦١.
(٢) القواعد الحسان لتفسير القرآن ٥٩.
(٣) ينظر: أسماء الله الحسنى ٢٩٦.
(٤) تفسير الرازي ٢٢/ ١٢.

والغفور: صيغة مبالغة؛ وذلك لكثرة غفرانه تبارك وتعالى، وأصل الغفر: التغطية والستر، غفر الله له ذنوبه؛ أي: سترها، وتقول العرب: اصبغ ثوبك بالسواد فهو أغفر لوسخه(١).

ومن أسماء الله جل وعلا الغفور بمعنى: الساتر لذنوب عباده، المتجاوز عنها(٢).

قال السعدي: «العفو، الغفور، الغفار: الذي لم يزل ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالغفران والصفح عن عباده موصوفاً، كل أحدٍ مضطر إلى عفوه ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرَمه»(٣).

والرحيم: فعيل بمعنى فاعل؛ أي: راحم، وبناءُ فعيل للمبالغة(٤)، والمعنى: أنه المثيب على العمل فلا يُضيع لعاملٍ عملاً، بل يُعطيه أضعاف عمله.

ومن أمثلة ذلك:

ـ قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ [البقرة: ١٧٣].

قال السعدي: «الإنسان في هذه الحالة مأمور بالأكل، بل منهي أن يلقي بيده إلى التهلكة، وأن يقتل نفسه، فيجب إذاً عليه الأكل، ويأثم إن ترك الأكل حتى مات، فيكون قاتلاً لنفسه، وهذه الإباحة والتوسعة من رحمته تعالى بعباده، فلهذا ختمها بهذين الاسمين الكريمين المناسبين غاية المناسبة فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾﴾ [البقرة: ١٧٣]... أخبر أنه غفور، فيغفر ما أخطأ فيه في هذه الحال خصوصاً وقد غلبته الضرورة، وأذهبت حواسه المشقة»(٥).

ـ وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [النساء: ٢٣].

---

(١) ينظر: لسان العرب ٥/ ٢٥.
(٢) ينظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ٨/ ١٩٧.
(٣) تفسير السعدي ٩٤٦.
(٤) ينظر: البحر المحيط ١/ ١٢٥.
(٥) تفسير السعدي ٢٠٦.

قال الطبري: «يخبر بذلك جل ثناؤه: أنه غفور لمن كان جمع بين الأختين بنكاح في جاهليته، وقبلَ تحريمه ذلك، إذا اتقى الله تبارك وتعالى بعدَ تحريمه ذلك عليه، فأطاعه باجتنابه، رحيمٌ به وبغيره من أهل طاعته من خَلْقِه»(١).

ـ وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأنعام].

قال السعدي: «﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾ لمن تاب إليه وأناب، يغفر له الذنوب، ويستر عليه العيوب، ويرحمه بأن يتقبل منه الطاعات، ويثيبه عليها بأنواع المثوبات»(٢).

ـ وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس].

في هذه الآية الحث على التعرض لرحمة الله بالطاعة، وعدم اليأس من غفرانه بالمعصية(٣).

قال القرطبي: «﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ لذنوب عباده وخطاياهم، ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾ بأوليائه في الآخرة»(٤).

وقال أبو السعود: «﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ تذييل لقوله تعالى: ﴿يُصِيبُ بِهِۦ﴾ إلخ، مقرر لمضمونه، والكل تذييل للشرطية الأخيرة محقق لمضمونها»(٥).

وقال السعدي: «﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ لجميع الزلات، الذي يوفق عبده لأسباب مغفرته، ثم إذا فعلها العبد، غفر الله ذنوبه، كبارها، وصغارها.

---

(١) تفسير الطبري ٨/ ١٥٠.
(٢) تفسير السعدي ٣٠٧.
(٣) ينظر: تفسير البيضاوي ٣/ ٢١٨.
(٤) تفسير القرطبي ٨/ ٣٨٨.
(٥) تفسير أبي السعود ٤/ ١٨٠.

﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ الذي وسعت رحمته كل شيء، ووصل جوده إلى جميع الموجودات، بحيث لا تستغنى عن إحسانه، طرفة عين»[١].

واقتران الرحيم بالغفور؛ لأن الإنسان محتاج إلى مغفرةٍ لذنوب وقعت منه، ولا يكون ذلك إلا برحمة من الله تسدده للصواب، ولا تعاجله بالعقاب.

ومن المعاني المستفادة من اقتران الرحيم بالغفور في القرآن:

ـ أن الرحمة مكمِّلة للمغفرة، فالمغفرة ستر وتغطية، والرحمة زيادةُ نعمةٍ وإحسان، وصرف للعذاب.

ـ أن مغفرته سبحانه من رحمته وهي علة لها.

ولذا كان دخول الجنة برحمة الله وفضله، كما جاء في الحديث: «**لن يدخل أحداً عمله الجنة**، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: **ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة**»[٢].

فكمال مغفرة الله تعالى برحمته، والله أعلم.

ومن الحِكَم في تقديم [الْغَفُورُ] على [الرَّحِيمِ]:

١ ـ أن المغفرة تخْلِية والرحمة تحْلِية، والتخلية قبل التحلية.

٢ ـ أن المغفرة تبدأ في الدنيا بستر الذنب، وكمال ثمرتها بالرحمة في الآخرة، بدخول الجنة، فروعي الترتيب الزمني.

٣ ـ أن فيهما الترقي من الأدنى إلى الأعلى.

فالغفور متضمن للمغفرة، والرحيم متضمن للرحمة، وإذا اجتمعا كَمُل النعيم لمن وفِّق لهما، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾﴾ [الكهف].

---

(١) تفسير السعدي ٣٧٥.

(٢) أخرجه البخاري ٧/ ١٥٧ (٥٦٧٣)، كتاب الأشربة، باب نهي المريض تمني الموت، ومسلم ٤/ ٢١٦٩ (٢٨١٦)، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قال القاسمي: «وتقديم الوصف بالمغفرة على الرحمة؛ لأنه أهم بحسب الحال، إذ المقام مقام بيان تأخير العقوبة عنهم، بعد استيجابهم لها»[(١)].

٤ ـ أن دفع الشر مقدم على جلب الخير.

قال ابن القيم: «ولما كان دفع الشر مقدماً على جلب الخير قدم اسم الغفور على الرحيم حيث وقع»[(٢)].

وفي كل مواضع الاقتران قُدِّم [الْغَفُورُ] على [الرَّحِيمُ]، إلا في آية واحدة قدم فيها [الرَّحِيمُ] على [الْغَفُورُ]، هي قوله تعالى:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [سبأ].

والسرُّ في هذا والله أعلم:

١ ـ أنه لما كان المقام في الآية مقام تفضل وإنعام، قدمت الرحمة على المغفرة؛ لأن المغفرة لا تكون إلا عن ذنب وتقصير، ولم يذكر في الآية تصريح بذلك، فقدَّم المناسب لمضمون الآية.

٢ ـ أن التقديم للرحمة باعتبار الفضل والكمال، وأن هذا هو غاية المكلفين، فسياق الآية يبين عِظَم صفات الله والثناء عليه، ومن كمال فضله ونعمته أنه الرحيم بهم.

قال ابن القيم: «وأما قوله: ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ فالرحمة هنا متقدمة على المغفرة: فإما بالفضل والكمال، وإما بالطبع لأنها منتظمة بذكر أصناف الخلق من المكلفين، وغيرهم من الحيوان، فالرحمة تشملهم، والمغفرة تخصهم، والعموم بالطبع قبل الخصوص كقوله: ﴿فَفِيهَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الرَّحمٰن: ٦٨]، وكقوله: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨]»[(٣)].

---

(١) تفسير القاسمي ٧/ ٤٦.
(٢) بدائع الفوائد ٢/ ١٣٣.
(٣) بدائع الفوائد ٢/ ١٠١، وقد أفاض ابن القيم في معنى تقديم الرحيم، وذكر كلاماً مفيداً يحسن الرجوع إليه.

٣ ـ أن الرحمة عامة لجميع الخلق من حيث الإنعام والإحسان، وهذا يشمل جميع الكائنات التي بيّن الله أنه مالكها وهو العليم بحالها، والمغفرة خاصة للمؤمنين، فهو تقديم للعام على الخاص؛ لانتظامه مع الآية.

قال الزركشي: «قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾، فإن المغفرة سلامة، والرحمة غنيمة، والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة، وإنما تأخرت في آية سبأ في قوله: ﴿ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [سبأ: ٢]؛ لأنها منتظمة في سلك تعداد أصناف الخلق من المكلفين وغيرهم، وهو قوله: ﴿مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ فالرحمة شملتهم جميعاً، والمغفرة تخص بعضاً، والعموم قبل الخصوص بالرتبة»[(١)].

٤ ـ قال ابن القيم: «وقدم الرحيم في هذا الموضع لتقدم صفة العلم فحسن ذِكْر الرحيم بعده ليقترن به فيطابق قوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]»[(٢)].

٥ ـ أن من جملة ما يقع على الأرض أعمال المكلفين، وكذلك من جملة ما يعرج إلى السماء أعمال المكلفين، ففي تقديم الرحمة إشارة إلى أن هذه الأعمال مهما بلغ حسنها لا تكافئ نعم الله على العبد، ولكنها طريق الوصول إلى رحمته ومغفرته، وأن رحمة الرحيم هي سبيل دخول الجنة والفوز برضا الله تعالى.

❐ ثانياً: اقتران العليم بالسميع:

اقترن هذان الاسمان في القرآن في واحد وثلاثين موضعاً، خمسة عشر موضعاً بلفظ: السميع العليم، وخمسة عشر موضعاً بلفظ: سميع عليم، ومرة: سميعاً عليماً.

والسميع: فعيل بمعنى فاعل للمبالغة؛ أي: السامع، وهو الذي يسمع السر وأخفى، ويأتي بمعنى: الاستجابة، كما قال ﷺ: «**اللَّهُمَّ إني أعوذ بك**

(١) البرهان ٣/ ٢٤٩.
(٢) بدائع الفوائد ٢/ ١٣٣.

من قلب لا يخشع، ومن دعاء لا يسمع...»[(١)]؛ أي: من دعاء لا يستجاب، ومن هذا قول المصلي: سمع الله لمن حمده[(٢)].

والعليم: فعيل بمعنى عالم وهو من أمثلة المبالغة في وصفه بكمال العلم[(٣)]، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [يوسف: ٧٦] فهو العالم بالسرائر والخفيات، التي لا يدركها علم الخلق، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾ [آل عمران: ١١٩]، ووصْفُ غيره بالعلم ينصرف إلى نوع من العلوم دون نوع، وفي حال دون حال، وتَعْرِض عليهم الآفات والنسيان، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل: ٧٨]، ولكن علم الله كامل لم يسبقه جهل ولا يلحقه نسيان، قال تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطَّلاق: ١٢][(٤)].

ومناسبة اقتران هذين الاسمين تختلف من آية إلى أخرى، وذلك لاختلاف موضوع الآية، وعلى سبيل المثال:

ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة].

هذه الآية في شأن الدعاء، ولذا ناسب أن يختم الدعاء بالتوسل إلى الله سبحانه باستجابة الدعاء بهذين الاسمين، فالسميع بمعنى السامع للدعاء، أو المجيب له، والعليم بحال الداعي وحاجته.

قال ابن عاشور: «وجملة: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ تعليل لطلب التقبل منهما»[(٥)].

وقال السعدي: «وأما قول الخليل وإسماعيل عليهما السلام وهما يرفعان القواعد

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٨٢)، كتاب الدعوات، وقال الألباني في صحيح سنن الترمذي ٢/ ١٦٥: صحيح.
(٢) معنى سمع: استجاب. ينظر: آداب المشي إلى الصلاة ٣٩.
(٣) التحرير والتنوير ١/ ٤١٥.
(٤) ينظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ٣/ ١٩٠، ٤/ ١٤٦.
(٥) التحرير والتنوير ١/ ٧١٩.

من البيت ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ فإنه توسلٌ إلى الله بهذين الاسمين إلى قبول هذا العمل الجليل، حيث كان الله يعلم نياتهما ومقاصدهما، ويسمع كلامهما، ويجيب دعاءهما فإنه يراد بالسميع في مقام الدعاء ـ دعاء العبادة ودعاء المسألة ـ معنى المستجيب، كما قال الخليل في الآية الأخرى: ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ [إبراهيم: ٣٩]»[(١)].

ـ وقوله تعالى: ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾﴾ [البقرة].

ففي هذه الآية جاء اقتران الاسمين تهديداً ووعيداً لمن بدل الوصية.

قال القرطبي: «صفتان لله تعالى لا يخفى معهما شيء من جَنَف[(٢)] الموصين، وتبديل المعتدين»[(٣)].

وقال السعدي: «وفيه التحذير للموصى إليه من التبديل»[(٤)].

والجامع للحكمة في جميع مواضع اقتران [السَّمِيعُ الْعَلِيمُ] والله أعلم:

أن اقتران هذين الاسمين إذا جاء في آيات الدعاء أشعر بقربه تعالى؛ فيستحضر الداعي سمع الله تعالى للداعين المتضمن لعلمه بحاجاتهم وإجابتهم.

وإذا اقترانا في آيات الجزاء، أفاد التحذير والإنذار فالله جل وعلا يسمع أقوالهم، ويعلم أعمالهم الصالحة وغيرها، وهو المجازي لهم.

قال الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾﴾ [البقرة]: «واعلموا أن الله سميع لقولهم، وعليم بهم وبغيرهم، وبما هم عليه مقيمون من الإيمان والكفر والطاعة والمعصية محيط بذلك كله، حتى أجازي كُلّاً بعمله، إن خيراً فخير وإن شراً فشر»[(٥)].

ـ ومن الآيات التي اقترن فيهما هذا الاسمان قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا

---

(١) القواعد الحسان ٤٤.

(٢) الجَنَفُ: الميل، يقال: جَنَفَ وأَجْنَفَ إذا مالَ وجارَ، ينظر: لسان العرب، مادة: (جنف) ٩/ ٣٢.

(٣) تفسير القرطبي ٢/ ١٨٠.

(٤) تفسير السعدي ٢١٩.

(٥) تفسير الطبري ٥/ ٢٨١.

يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصّلت].

والمراد: في أي وقت أو حال تُحِس بوسوسة الشيطان فالتجئ واعتصم بالله فإنه سميع لما تقول، عليم بما في صدرك.

فختم جل وعلا أمره بالاستعاذة من الشيطان بالجمع بين [السَّمِيعُ الْعَلِيمُ]، فهو مَن يُلجأ إليه لكمال سمعه وعلمه، المتضمن لإجابته وعصمته لمن التجأ إليه.

ووجه التعريف في سورة فصلت، والتنكير في سورة الأعراف:

مراعاة سياق الآيات قبلها، فسورة الأعراف تقَدَّم فيها قبل الآية وصف آلهتهم بأنها لا تخلق شيئاً ولا يستطيعون لهم نصراً، ﴿وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿١٩٨﴾﴾ [الأعراف]، فنفى عنهم القدرة والسمع والبصر وآلة المشي، وآلة البطش بقوله: ﴿أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ﴾ [الأعراف: ١٩٥]، ولم يتقدم ما يوهم أدنى شيء يلحقها بشبه الأحياء، فضلاً عما فوق ذلك فورد الصفتان بقوله: سميع عليم.

وأما آية فصّلت فتقدم قبلها قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [فصّلت: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ [فصّلت: ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾ [فصّلت: ٢٩]، فحصل من هذا أن مضليهم إنما كانوا من عالم الإنس والجن، وكلا الصنفين موصوف بالسمع والبصر وممن ينسب إليه علم، بخلاف المقدم ذكره في الأعرف، فلمَّا تقدم في سورة فصلت من يُظَن منه الغنى، ويمكن منه أن يسمع ويبصر ويعلم، ناسبه التعريف في الصفة ليعطِي بالمفهوم نفيُ ذلك عن غير الموصوف بهما تعالى[1].

(١) ينظر: ملاك التأويل ١/ ٣١٢، ٣١٣.

وقال ابن جماعة: «آية الأعراف نزلت أولاً، وآية السجدة نزلت ثانياً، فحسن التعريف؛ أي: ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصّلت: ٣٦]، الذي تقدم ذكره أولاً عند نزوغ الشيطان»(١).

ولم يأت في القرآن: عليم سميع، فلله الحكمة البالغة.

قال ابن القيم: «ذكر السميع أوقع في باب التخويف من ذكر العليم؛ فهو أولى بالتقديم»(٢).

وقد اقترن بالسميع من أسماء الله أيضاً: البصير.

جاء اقتران السميع بالبصير في أحد عشر موضعاً، أربعة بلفظ: السميع البصير، وأربعة بلفظ: سميع بصير، وثلاثة بلفظ: سميعاً بصيراً.

ـ كما في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء].

قال البغوي: «ذكر [السَّمِيعُ] لينبه على أنه المجيب لدعائه، وذكر [الْبَصِيرُ] لينبه على أنه الحافظ له في ظلمة الليل»(٣).

ـ وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾﴾ [الحج].

ختم بـ[سَمِيعٌ] للدلالة على أنه مع إدخال الليل بالنهار والنهار بالليل يسمع كل الأصوات باختلاف اللغات والحاجات، و[بَصِيرٌ] للدلالة بأنه مع سمعه سبحانه يرى دبيب النملة السوداء، تحت الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء(٤).

ـ وقوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾ [النساء].

أي: سميعاً لأقوالهم، بصيراً بأعمالهم ونياتهم، فناسب معناهما حال

(١) كشف المعاني ١٩٣.
(٢) بدائع الفوائد ٢/ ١٠١.
(٣) تفسير البغوي ٥/ ٥٨.
(٤) ينظر: تفسير السعدي ٥٤٣.

المذكورين في الآية[١].

قال الطبري: «وقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾؛ يعني: وكان الله سميعاً لما يقول هؤلاء المنافقون الذين يريدون ثواب الدنيا بأعمالهم، وإظهارهم للمؤمنين ما يظهرون لهم إذا لَقُوا المؤمنين، وقولهم لهم: آمنا.

﴿بَصِيرًا﴾؛ يعني: وكان ذا بصر بهم وبما هم عليه منطوون للمؤمنين، فيما يكتمونه ولا يبدونه لهم من الغش والغِلّ الذي في صدورهم لهم»[٢].

❐ ثالثاً: اقتران الرحيم بالتواب:

اقترن هذان الاسمان في كتاب الله تعالى في تسعة مواضع، في الآيات التالية:

ـ قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة].

ـ وقوله تعالى: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾ [البقرة: ٥٤].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة: ١٢٨].

ـ وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة].

ـ وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ [التوبة].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [التوبة].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾﴾ [النساء].

---

(١) ينظر: البحر المحيط ٣/ ٣٨٤.
(٢) تفسير الطبري ٩/ ٣٠١.

ـ وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤﴾ [النساء].

ـ وقوله تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾ [الحجرات: ١٢].

والتواب: صيغة مبالغة، هو الذي يتوب على عبده ويقبل توبته، وكلما تكررت التوبة تكرر القبول.

قال السعدي: «وتوبة الله على عبده نوعان: توفيقه أولاً، ثم قبوله للتوبة إذا اجتمعت شروطها ثانياً»(١).

والرحيم: سبق بيانه، وهو دال على اتصاف الله بالرحمة، والنعم والإحسان، وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته.

قال أبو حيان: «الرحيم: فعيل محول من فاعل للمبالغة»(٢).

وقال أبو السعود: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾ مبالغ في قبول التوبة وإفاضة الرحمة حيث يجعل التائب كمن لم يذنب، ولا يخص ذلك بتائب دون تائب، بل يعم الجميع وإن كثرت ذنوبهم»(٣).

وبعد التأمل في الآيات التي ختمت بـ[التَّوَّابُ الرَّحِيمُ] فإن التوبة موضوع أصلي فيها، وقد صرح الله بذكرها في الآيات التي خُتمت بهذين الاسمين، فختامها بالتواب الرحيم حث على التوبة ووعد بقبولها، فناسب ختام الآية مضمونها.

ومن حِكَم اقتران اسم [الرَّحِيمُ] مع [التَّوَّابِ]:

١ ـ أن التوفيق للتوبة وقبولها من رحمة الله بعباده، وسبب لدفع العقوبة عنهم.

٢ ـ وهو من الترقي من الأدنى للأعلى.

---

(١) تفسير السعدي ٥٠.
(٢) البحر المحيط ١/ ١٢٥.
(٣) تفسير أبي السعود ٨/ ١٢٢.

٣ ـ أن فيه وعدٌ بعد التوبة بإفاضة الرحمة عليه وآثارها؛ من دخول الجنة وغير ذلك.

قال الطبري: «وأما قوله: ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾، فإنه يعني: أنه المتفضل عليه مع التوبة بالرحمة، ورحمته إياه إقالة عثرته وصفحه عن عقوبة جرمه»[(١)].

وقال أبو السعود: «**التوَّاب**: أي الرجَّاع على عباده بالمغفرة أو الذي يكثر إعانتهم على التوبة، وأصل التوب: الرجوع، فإذا وصف به العبد كان رجوعاً عن المعصية، وإذا وصف به الباري عز وعلا: أريد به الرجوع عن العقاب إلى المغفرة.

الرحيم: المبالغ في الرحمة، وفي الجمع بين الوصفين وعدٌ بليغ للتائب بالإحسان مع العفو والغفران»[(٢)]، والله أعلم.

❐ رابعاً: اقتران القيوم بالحي:

القيوم: لم يرد في القرآن إلا مقروناً باسم الحي، في ثلاث مواضع من القرآن، وهي:

ـ قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ـ وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾ [آل عمران].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾ [طه].

وهذان الاسمان الكريمان يدلان على سائر الأسماء الحسنى دلالة مطابقة وتضمن ولزوم.

فالحي: من له الحياة الكاملة المستلزمة لجميع صفات الذات؛ كالسمع والبصر والعلم والقدرة، ونحو ذلك، فحياة الله جلا وعلا حياة لم يسبقها عدم، ولا يلحقها زوال، ومن أجل حياته كملت بقية أسمائه وصفاته، فلا يمكن لأحد أن يتصف بصفة كمال إلا إذا كان حياً، فجميع أسماء الله تدل على صفة الحياة التي تضمنها اسمه الحي.

---

(١) تفسير الطبري ١/٥٤٨.

(٢) تفسير أبي السعود ١/ ٩٢.

والقيوم: هو الذي قام بنفسه وقام بغيره، فالله جل وعلا مستغن عن كل أحد، وكل أحد مفتقر إليه، فلا قوام لأحد إلا بالله، والله جلا وعلا غني كل الغنى عن جميع خلقه.

وذلك مستلزم لجميع الأفعال التي اتصف بها رب العالمين من فعله ما يشاء، من الاستواء والنزول والكلام والقول والخلق والرزق والإماتة والإحياء، وسائر أنواع التدبير، كل ذلك داخل في قيُّومية الباري جل وعلا.

وقد كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: «**اللَّهُمَّ لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن...**»(١)، وفي رواية: «**قيَّام**»(٢)، وفي رواية: «**قيُّوم**»(٣). وهي ثلاث لغات(٤).

وهي من أبنية المبالغة، ومعناها: القَيّام بأُمور الخلق وتدبير العالم في جميع أَحواله(٥).

ولهذا قال بعض المحققين في الحي القيوم: إنهما الاسم الأعظم الذي إذا دعي الله به أجاب، وإذا سئل به أعطى(٦).

وقد روي عن النبي ﷺ أن الحي القيوم هو اسم الله الأعظم(٧)، مما

---

(١) أخرجه البخاري ٢/ ٦٠ (١١٢٠)، كتاب التهجد، باب التهجد بالليل، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجها مسلم ١/ ٥٣٢ (٧٦٩)، كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه.

(٣) أخرجها عبد الرزاق في مصنفه ٢/ ٧٨ (٢٥٦٤)، كتاب الصلاة، باب استفتاح الصلاة.

(٤) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال ٣/ ١٠٩.

(٥) ينظر: لسان العرب ١٢/ ٤٩٦.

(٦) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٨/ ٣١١، تفسير السعدي ١١٠.

(٧) جاء من حديث أسماء بنت يزيد قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في هذه الآيتين: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢﴾ [البقرة: ٢٥٥]، و﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢﴾ [آل عمران]، «**إن فيهما اسم الله الأعظم**» أخرجه أحمد ٤٥/ ٥٨٤ (٢٧٦١١)، وفي الباب عن أبي أمامة، عند ابن ماجه ٢/ ١٢٦٧ (٣٨٥٦)، كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم، وأخرجه الطبراني في الكبير ٨/ ١٨٣ (٧٧٧٤)، =

يُشير إلى أن الاسمين صارا كالاسم الواحد، فاقترانهما ببعض زاد كمالهَما.

فالحي القيوم فيه إثبات صفات الكمال، ونفي صفات النقص، وهذا من أبلغ طرق المدح عند السلف الصالح[1]، والله أعلم.

❐ وخلاصة البحث في اقتران أسماء الله تعالى في كتابه:

١ ـ أن كثرة اقتران الأسماء الحسنى في أواخر الآيات، تدل على أهمية هذا المبحث.

٢ ـ اقتران أسماء الله تعالى دليل على جانب من جوانب الكمال لله ﷻ، لدلالتهما على معنى ذي قدر زائد على مفرديهما.

فهو سبحانه [الْغَفُورُ الرَّحِيمُ] الغفور لمن تاب توبة نصوحاً، ولمن وقع في الذنب خطأ، الرحيم بهم حيث غفر لهم، وهذا من رحمة الله ﷻ بعباده.

وهو سبحانه: [السَّمِيعُ الْعَلِيمُ] السميع لأقوال القائلين بلا استثناء، العليم بأحوالهم علماً كاملاً، فيجازيهم على ذلك، إن خيراً فخيراً، وإن شراً فشراً، وهو البصير بكل المبصرات لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

وهو سبحانه: [التَّوَّابُ الرَّحِيمُ] التواب: الذي لم يزل يتوب على التائبين، ويغفر ذنوب المنيبين، الرحيم: الذي وفق من شاء للتوبة وقبلها منهم.

وهو سبحانه: [الْحَيُّ الْقَيُّومُ] الحي: من له الحياة الكاملة المستلزمة لصفات الذات كلها، والقيوم: القائم بنفسه القائم بغيره المستلزم لصفات الأفعال، فانتظمت جميع الصفات في هذين الاسمين.

وهكذا باقي الأسماء الحسنى التي اقترنت في كتاب الله، كلها تؤدي إلى

= ولفظه: «**اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في سور ثلاث: البقرة وآل عمران وطه**»، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ٢/ ٣٨٢.

(١) ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ١٧/ ١٠٨، مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ٤/ ٦٩.

الكمال في المعاني، ولها في كل موضع دلالة، وهو باب واسعٌ للتدبر والتأمل.

قال ابن القيم: «فتأمله فإنه من أشرف المعارف»[١].

٣ ـ ختام الآيات باقتران الأسماء جاء في غاية المناسبة بين الختام والمضمون، يُدرك ذلك صاحب العقل الصحيح، والفطرة السليمة، وقد يُحذف الحُكم من الآية، ويدل عليه ختم الآية بالأسماء الحسنى، كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤﴾ [المائدة].

٤ ـ ليس بكثير أن يُفرَد لكل اسمين اقترنا في كتاب الله تعالى بحثاً كاملاً.

٥ ـ أسماء الله تعالى جاءت في القرآن:

ـ إما مفردة.

وهو في غالب الأسماء؛ كالرحمٰن، والسميع، والعليم، والملك، والقدوس، وغيرها.

ـ وإما مقترنة.

وهو كثير؛ كالسميع العليم، والغفور الرحيم، والحي القيوم، وغيرها[٢].

ومنها ما يحسن اقترانه بغيره؛ لأن كمال المعنى اللائق به سبحانه في الاقتران.

ـ ومن ذلك: الأول الآخر، والظاهر الباطن.

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٣﴾ [الحديد].

في هذه الآية أربعة أسماء لله تعالى: الأول والآخر والظاهر والباطن،

(١) بدائع الفوائد ٢/ ٢٧٠.
(٢) ينظر: بدائع الفوائد ٢/ ٢٨١.

لم يأت أحدها منفرداً في القرآن، بل جاءت مقترنة ببعض، مما أفاد الكمال بين الضدين، فهو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء.

قال الرازي: «من الأسماء ما يكون مقارنتها أحسن؛ كقولك: الأول الآخر، المبدىء المعيد، الظاهر الباطن»(١).

ـ ومن ذلك اقتران العزيز بالحكيم.

لأنه سبحانه عز فحكم فقطع، ولو غفر ورحم لما قطع.

كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المائدة].

قال ابن الجوزي: «قال الأصمعي: قرأت هذه الآية، وإلى جنبي أعرابي، فقلت: والله غفور رحيم ـ سهواً ـ فقال الأعرابي: كلام من هذا؟ قلت: كلام الله، قال: أعد، فأعدت: والله غفور رحيم، فقال: ليس هذا كلام الله، فتنبهت، فقلت: والله عزيز حكيم، فقال: أصبت، هذا كلام الله، فقلت له: أتقرأ القرآن؟ قال: لا، قلت: فمن أين علمت أني أخطأت؟ فقال: يا هذا عز فحكم فقطع، ولو غفر ورحم لما قطع»(٢).

المطلب الثاني

قرن بعض أسماء البشر ببعض

نَصَّ القرآن على كثير من الأسماء بعينها، وأشار إلى صفاتِ كثيرٍ من البشر دون تعيينهم؛ ليعمَّ كل من اتصف بها، وهذا من عظمة هذا القرآن، ومن عادات القرآن اقتران الأسماء ببعضها، وتختلف مواضع اقتران الأسماء كثرةً بحسب العلاقة بينها، وسأبحث هنا الأمثلة على اقتران بعض أسماء البشر الواردة في القرآن والتحري للعلاقة بينها، ومن ذلك:

---

(١) تفسير الرازي ٢٢/ ١٢، وينظر: تفسير اللباب ١٣/ ١٦٤.
(٢) زاد المسير ٢/ ٣٥٤، وينظر: البرهان ٣/ ٢٤٧.

❐ أولاً: اقتران موسى وهارون عليهما السلام:

جاء اقتران موسى وهارون في كتاب الله في مواضع كثيرة، فجُمع بينهما بالعطف أو بالضمير، أو بالذكر، **ومن أمثلة ذلك:**

ـ قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأعراف].

ـ وقوله تعالى: ﴿فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾ [طه].

ـ وقوله تعالى: ﴿فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الشعراء].

أبدل [رَبِّ] الثاني من الأول لئلا يُتوهم أن المراد فرعون[(١)].

وفي النص على موسى وهارون مقترنين: إشارةٌ إلى أن الهداية كانت بسببهما، والله أعلم.

قال ابن عطية: «ووصلوا إيمانهم بسبب موسى وهارون، وصرحوا بأن ذلك على أيديهما؛ لأن قولهم: رب العالمين مُغْنٍ، فلم يكرروا البيان في قولهم: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ إلا لما ذكرناه»[(٢)].

وقال البيضاوي: «إبدالٌ للتوضيح، ودفع التوهم، والإشعار على أن الموجب لإيمانهم على أيديهما»[(٣)].

ـ وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [يونس].

ـ وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾﴾ [المؤمنون].

والمراد: أن الله أرسل موسى بن عمران، كليم الله عليه السلام، وجعل معه أخاه هارون وزيراً استجابةً لسؤاله، حيث قال تعالى على لسان موسى:

---

(١) ينظر: تفسير البيضاوي ٣/ ٤٨.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٧٨.
(٣) تفسير البيضاوي ٤/ ٢٣٨.

﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠﴾ [طه][(١)].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٨٧﴾ [يونس].

أي: أوحينا إلى موسى وأخيه أن اتخذا مباءةً لقومكما بمصر؛ بيوتاً تسكنون فيها وترجعون إليها للعبادة[(٢)].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٤٨﴾ [الأنبياء].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۝١١٤﴾ [الصَّافات].

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: ولقد تفضلنا على موسى وهارون ابني عمران، فجعلناهما نبيين، ونجيناهما وقومهما من الغم والمكروه العظيم الذي كانوا فيه من عُبودة آل فرعون، ومما أهلكنا به فرعون وقومه من الغرق»[(٣)].

وقال ابن الجوزي: «قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۝١١٤﴾؛ أي: أنعمنا عليهما بالنبوة»[(٤)].

وقال ابن كثير: «يذكر تعالى ما أنعم به على موسى وهارون من النبوة، والنجاة بمن آمن معهما من قهر فرعون وقومه، وما كان يعتمده في حقهم من الإساءة العظيمة، من قتل الأبناء واستحياء النساء، واستعمالهم في أخس الأشياء، ثم بعد هذا كله نصرهم عليهم، وأقر أعينهم منهم، فغلبوهم وأخذوا أرضهم وأموالهم وما كانوا جمعوه طول حياتهم، ثم أنزل الله على موسى الكتاب العظيم الواضح الجلي المستبين، وهو التوراة، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٤٨﴾، وقال هاهنا: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُمَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلۡمُسۡتَبِينَ ۝١١٧ وَهَدَيۡنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝١١٨﴾ [الصَّافات]؛ أي: في الأقوال والأفعال»[(٥)].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي ٣٧٠، ٥٥٢.
(٢) ينظر: تفسير أبي السعود ٤/ ١٧١.
(٣) تفسير الطبري ٢١/ ٩٣.
(٤) زاد المسير ٧/ ٧٩.
(٥) تفسير ابن كثير ٧/ ٣٦.

ثم قال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾﴾ [الصَّافات]، والآيات بعدها تتحدث عن موسى وهارون بالضمير المثنى العائد إليهما، فالمنَّة من الله تعالى عليهما كبيرة، فبَيْن موسى وهارون ارتباطٌ في السياق اللفظي لما بينهما من الارتباط العملي، إلى قوله تعالى في الآيات بعدها: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾﴾ [الصَّافات].

ـ وقوله تعالى: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾﴾ [طه].

لما امتن الله على موسى بما امتن به، من النعم الدينية والدنيوية قال له: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ﴾؛ أي: هارون ﴿بِـَٔايَٰتِى﴾؛ أي: الحجج الدالة على الحق وحسنه، وقبح الباطل؛ كاليد، والعصا ونحوها، في تسع آيات إلى فرعون وملئه[1].

ففي هذه الآيات وغيرها التي قرن الله فيها بين موسى وهارون، دلالة على وجه علاقة بينهما.

ومن أسرار اقترانهما:

١ ـ أن موسى سأل الله أن يجعل له وزيراً من أهله، كما قال تعالى على لسانه: ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾﴾ [طه]، وقد أجاب الله سؤله حيث قال سبحانه: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [طه].

وقد بيَّن الله تعالى سبب هذا السؤال في سورة الشعراء وفي سورة القصص حيث يقول سبحانه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الشعراء].

وقال جل وعلا: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [القصص].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي ٥٠٦.

فبيَّن تعالى أنه أرسل موسى عليه السلام، وجعل معه أخاه هارون لشد عضده، ولما اجتمعا حقق الله لهما الحفظ والغلبة.

٢ ـ أن هارون هو الأخ الأكبر لموسى، فبينهما قرابة النسب[١]، وقرابة السكن، مما يؤدي إلى يسر التعاون بينهما، والاشتراك في أعمال الحياة والدعوة إلى الله.

٣ ـ أنه لقوة ارتباط هارون بموسى في الدعوة صارا كالواحد، حيث يقول الله تعالى على لسان فرعون: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ [طه].

٤ ـ أن الله أشركهما في الأمر بالذهاب والقول، حيث يقول جل وعلا: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه].

٥ ـ وأشركهما كذلك بالإيحاء والإيتاء حيث يقول تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [يونس]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنبياء].

قال السعدي: «فأخبر أنه آتى موسى أصلاً، وهارون تبعاً ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾ وهي التوراة الفارقة بين الحق والباطل، والهدى والضلال»[٢].

فتبين بهذا حضور هارون مع موسى في مواقف الدعوة كلها كما دلت الآيات[٣]، مما يجعل اقتران هارون بموسى اقتران الأخ بأخيه؛ بل زادت الأخوة لما اشتركا في الدعوة إلى الله، وقويت بمعية الله تعالى لهما وتأييده، حيث يقول جل وعلا: ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه: ٤٦]، والله تعالى أعلم.

❐ ثانياً: اقتران فرعون وهامان:

جاء في القرآن اقتران فرعون وهامان في ستة مواضع، وهي كما يأتي:

---

(١) ينظر: تاريخ الأمم والرسل والملوك ١/ ٢٣١.
(٢) تفسير السعدي ٥٢٥.
(٣) ينظر: تفسير القرطبي ١١/ ٢٠٤.

ـ قوله تعالى: ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [القصص].

ووجه اقتران هامان بفرعون أنه وزيره ومعينه على الباطل، والدليل على ذلك ما يأتي من الآيات التالية.

قال أبو حيان: «﴿وَهَٰمَٰنَ﴾ وزير فرعون وأحد رجاله، وذُكِر لنباهته في قومه ومحله من الكفر، ألا ترى إلى قوله له: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا﴾ [غافر: ٣٦]»[(١)].

ـ وقوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾﴾ [القصص].

فاجتمع فرعون وهامان ومن تبعهم على الخطأ.

قال البقاعي: «﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا﴾؛ أي: كلهم على طبع واحد، ﴿كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾﴾؛ أي: دأبهم تعمد الذنوب، والضلال عن المقاصد»[(٢)].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [القصص].

قال ابن كثير: «وقوله: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾؛ أي: أمر وزيره هامان ومدبر رعيته ومشير دولته أن يوقد له على الطين»[(٣)].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [العنكبوت].

بيَّن تبارك وتعالى أن موسى عليه السلام أُرسِل بالبينات إلى قارون وفرعون وهامان، وكان حالهم الاستكبار كمن سبقهم.

---

(١) البحر المحيط ٧/ ١٠٠.
(٢) نظم الدرر ٥/ ٤٦٧.
(٣) تفسير ابن كثير ٦/ ٢٣٨.

ـ وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾﴾ [غافر].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾﴾ [غافر].

فيها الاقتران بين هذه الأسماء للاشتراك في العمل الباطل، وطلب العون عليه.

❐ ثالثاً: اقتران موسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما:

كثيراً ما يقرن الله تعالى في القرآن بين موسى ومحمد ﷺ.

ومن الأمثلة على ذلك:

ـ قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾﴾ [الإسراء].

قال ابن كثير: «لما ذكر تعالى أنه أسرى بعبده محمد، صلوات الله وسلامه عليه، عطف بذكر موسى عبده، وكليمه عليه السلام أيضاً، فإنه تعالى كثيراً ما يقرن بين ذكر موسى ومحمد عليهما السلام وبين ذكر التوراة والقرآن»(١).

وقال أيضاً: «لما أخبر الله تعالى عن القرآن بقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ﴾ [الأنعام: ١٥٣] عطف بمدح التوراة ورسولها، فقال: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الأنعام: ١٥٤] وكثيراً ما يقرن سبحانه بين ذكر القرآن والتوراة؛ كقوله تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الأحقاف: ١٢]، وقوله في أول هذه السورة: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۚ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۚ﴾ [الأنعام]، وبعدها ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢]، وقال تعالى مخبراً عن

(١) تفسير ابن كثير ٥/ ٤٥ ـ ٤٦، وينظر: ٥/ ٣٤٧.

المشركين: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ﴾ [القصص: ٤٨] قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [القصص: ٤٨]، وقال تعالى مخبراً عن الجن أنهم قالوا: ﴿قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الأحقاف]»[1].

❐ رابعاً: اقتران داود وسليمان عليهما السلام:

قَرَن تعالى في كتابه بين داود وسليمان في ثماني مواضع، **ومن الأمثلة على ذلك:**

ـ قوله تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأنبياء].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنعام].

ـ وقوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنبياء].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾ [النمل].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ [النمل].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ [ص].

ووجه اقتران سليمان بداود، أنه من ذريته، وفهمه الله الأحكام، وأنه ورثه في الحكم.

فسليمان عليه السلام من فضائل داود، ومن منن الله عليه حيث وهبه له، ومن

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٦٨.

أكبر نعم الله على عبده أن يهب له ولداً صالحاً، فإن كان عالماً فإنه نور على نور[١].

وفي ذكر داود وسليمان تسلية للرسول ﷺ، قال جل وعلا: ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾ [ص].

قال ابن جزي: «داود وسليمان وأيوب أصابتهم شدائد ثم فرجها الله عنهم، وأعقبها بالخير العظيم، فأمر سيدنا محمداً ﷺ بذكرهم، ليعلِّمه أنه يفرج عنه ما يلقى من إذاية قومه، ويعقبها بالنصر والظهور عليهم، فالمناسبة في ذلك ظاهرة»[٢].

وقد أنعم الله على داود وسليمان بالحكم والعلم العظيم، بدليل التنكير في قوله تعالى:

﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

وقاما بشكر الله على هذه النعمة فقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ﴾ [النمل].

قال السعدي: «وداود وسليمان من خواصِّ الرسل وإن كانوا دون درجة أولي العزم الخمسة، لكنهم من جملة الرسل الفضلاء الكرام الذين نوه الله بذكرهم ومدحهم في كتابه مدحاً عظيماً فحمدوا الله على بلوغ هذه المنزلة، وهذا عنوان سعادة العبد أن يكون شاكراً لله على نعمه الدينية والدنيوية، وأن يرى جميع النعم من ربه، فلا يفخر بها، ولا يعجب بها؛ بل يرى أنها تستحق عليه شكراً كثيراً، فلما مدحهما مشتركين خص سليمان بما خصه به لكون الله أعطاه ملكاً عظيماً وصار له من الماجريات ما لم يكن لأبيه صلى الله عليهما وسلم»[٣].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي ٧١٢.
(٢) التسهيل ٢/ ٤٤٢.
(٣) تفسير السعدي ٦٠٢.

❐ خامساً: اقتران إسماعيل واليَسَع عليهما السلام:

ذُكِر اليسَع في القرآن مرتين واقترن بذكر إسماعيل، والآيات التي جاء فيها الاقتران هي:

ـ قوله تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾ [ص].

ولم يأت الكلام في القرآن عن حياة اليَسَع، ورسالته، وأتباعه، وإنما اكتُفِي بعدِّه مع الرسل الكرام عليهم السلام الذين يجب الإيمان بهم إجمالاً وتفصيلاً، ولله في ذلك حكمة(١).

قال الطبري: «والصواب من القراءة في ذلك عندي، قراءةُ من قرأه بلام واحدة مخففة، لإجماع أهل الأخبار على أن ذلك هو المعروف من اسمه، دون التشديد، مع أنه اسم أعجمي، فينطق به على ما هو به»(٢).

وذكر المؤرخون تفاصيل ليس هذا محلها(٣).

فأهم أوجُه اقتران أسماء الأنبياء:

المعنى الجامع بينهم وهو النبوة.

وأما تكرار الاقتران أو استمراره فلمعنى أكثر من النبوة، والله أعلم.

وقد ذكر بعض العلماء مراتب للأنبياء عند عدها في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ

---

(١) ينظر: تفسير البيضاوي ٥/ ٥٠، تفسير القرطبي ٧/ ٣٣، تفسير أبي السعود ٣/ ١٥٨، ولذا اختلف المفسرون في اسمه.

(٢) تفسير الطبري ١١/ ٥١١.

(٣) ينظر: البداية والنهاية ٢/ ٢٨٥.

وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنعام].

قال أبو حيان: «فهذه مراتب ست: مرتبة الملك والقدرة ذكر فيها داود وسليمان، ومرتبة البلاء الشديد ذكر فيها أيوب، ومرتبة الجمع بين البلاء والوصول إلى الملك ذكر فيها يوسف، ومرتبة قوة البراهين والمعجزات والقتال والصولة ذكر فيها موسى وهارون، ومرتبة الزهد الشديد والانقطاع عن الناس للعبادة ذكر فيها زكريا ويحيى وعيسى وإلياس، ومرتبة عدم الأتباع ذكر فيها إسماعيل واليسع ويونس ولوطاً»(١).

ولم يتبين لي في سرُّ اقتران إسماعيل واليسع، غير معنى النبوة، وعدم ذكر الأتباع، فأَكِلُ العلم إلى الله، وهو سبحانه أعلم وأحكم.

ومن الحكم المستنبطة في الاقتران بين أسماء البشر في القرآن:

ـ أن بينهما علاقة دينية أو دنيوية.

ـ أن في اقتران الأنبياء ببعض دلالة على النبوة، أو اشتراك في توصيل الرسالة.

ـ أن في اقتران أهل الباطل ببعض بيان اجتماعهم على الخطأ، وأن فيه أعواناً على الشر، كما أن هناك أعواناً على الخير.

ـ أن الإنسان يشرف بمن يُذكر معه، أو يُحتقر.

ـ أن من دواعي اقتران الأسماء:

١ ـ البنوة أو الأبوة أو عموم القرابة، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾﴾ [مريم].

---

(١) البحر المحيط ٤/١٧٨.

٢ ـ الاشتراك في صفة.

ـ كما في قوله تعالى: ﴿وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ﴾ [الأنعام: ٨٤].

فسليمان وأيوب كلاهما قال الله تعالى فيهما: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾.

قال تعالى في سليمان: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ [ص].

وقال تعالى في أيوب: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص].

فأيوب: هو العبد الصابر، وسليمان: هو العبد الشاكر، والصبر والشُكر جِمَاع الإيمان.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ﴾ [الأنعام: ٨٤].

فيَجْمَع بينهما الاشتراك في الإنعام بعد البلوى، فكلاهما ممن أنعم الله تعالى عليه بعد الابتلاء.

ـ ويَجْمَع بين يحيى وعيسى استغراب الولادة.

فيحيى جاء من أبوين أحدهما شيخ والآخر عقيم، وعيسى جاء من أم بلا أب، وقد ذكرهما تعالى معاً في سورة آل عمران[١] ومريم[٢]، والله تعالى أعلم.

---

(١) المراد: قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾ إلى أن قال: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [آل عمران].

(٢) المراد قوله تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾ [مريم].

المطلب الثالث

قرن بعض الطوائف ببعض

جاء اقتران بعض الطوائف في القرآن، ولا يقرن بين اثنين ولا يفرق بينهما إلا لحِكْمة وفائدة، ومن أمثلة ما اقترن من الطوائف في القرآن:

❐ أولاً: اقتران المؤمنين بالكفار:

بَيَّن الله جل وعلا في كتابه الحق والباطل، ودعا إلى الأول وحذر من الثاني، ولذا جاء الاقتران بين فريق الخير وفريق الشر كثيراً في القرآن؛ ليتضح الأمر أكثر، وتقومَ الحجة على العباد.

قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف].

قال ابن عطية: «في الآيةِ توعدٌ وتهديد؛ أي: فليختر كل امرئ لنفسه ما يجده غداً عند الله ﷻ»(١).

وقال ابن جزي: «ومعناه: أن الحق قد ظهر، فليختر كل إنسان لنفسه؛ إما الحق الذي ينجيه، أو الباطل الذي يهلكه، ففي ضمن ذلك تهديد»(٢).

وقال السعدي: «أي: لم يبق إلا سلوك أحد الطريقين، بحسب توفيق العبد، وعدم توفيقه، وقد أعطاه الله مشيئة بها يقدر على الإيمان والكفر، والخير والشر، فمن آمن فقد وفق للصواب، ومن كفر فقد قامت عليه الحجة، وليس بمكره على الإيمان، كما قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ﴾ [البقرة: ٢٥٦]»(٣).

فكثيراً ما يقرن الله تعالى في كتابه بين طائفة الحق وطوائف الكفر، وهذه المقابلات تغني عن التصريح بالأفضل من الفريقين لوضوحه.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٥٣٧.
(٢) التسهيل ٢/ ١٣٥.
(٣) تفسير السعدي ٤٧٥.

قال السعدي: «وهذه القاعدة في القرآن كثير، يذكرها في المقامات المهمة؛ كالمقابلة بين الإيمان والكفر، والتوحيد والشرك.. ويذكر تباين الأوصاف التي يعرف العقلاء بالبداهة التفاوت بينها، ويدع التصريح بالمفاضلة للعقلاء»(١).

واقتران المؤمنين والكفار في كتاب الله تعالى كثيرٌ، ومن الأمثلة على ذلك:

ـ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ [البقرة]، ثم جاء الحديث عن الكفار بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [البقرة].

قال ابن كثير: «يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾؛ أي: غَطَّوا الحق وستروه، وقد كتب الله تعالى عليهم ذلك، سواء عليهم إنذارك وعدمه، فإنهم لا يؤمنون بما جئتهم به، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ [يونس]»(٢).

وقال السعدي: «﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة] والفلاح هو الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب، حصر الفلاح فيهم؛ لأنه لا سبيل إلى الفلاح إلا بسلوك سبيلهم، وما عدا تلك السبيل، فهي سبل الشقاء والهلاك والخسار التي تفضي بسالكها إلى الهلاك.

فلهذا لما ذكر صفات المؤمنين حقاً، ذكر صفات الكفار المظهرين لكفرهم، المعاندين للرسول، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [البقرة]»(٣).

ـ وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة].

---

(١) القواعد الحسان ١٣٥.
(٢) تفسير ابن كثير ١/ ١٧٣.
(٣) تفسير السعدي ٤٠.

وحَّد تعالى لفظ النور وجمع الظلمات؛ لأن الحق واحد والكفر أجناس كثيرة وكلها باطلة كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام]، وقال تعالى: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ [النحل: ٤٨]، إلى غير ذلك من الآيات[1].

ـ وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [النساء].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الرعد]، ثم قال جل وعلا بعدها: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد]، ثم ختم سبحانه بيان الصفات بالترغيب حيث ذكر ثواب المؤمنين: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد].

ـ وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [المائدة].

نادى الله المؤمنين أن لا يتخذوا الكافرين أولياء، وهذا من مواضع الاقتران التي يُذكر فيها الفريقان تحذيراً لأهل الحق من أهل الباطل.

ـ وقوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ﴾ [آل عمران: ٢٨].

ومن مواضعِ اقتران المؤمنين والكفار مواضعُ ذكرِ الجزاء:

ـ كما في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [السجدة].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير ١/ ٦٨٥.

أي: أفمن كان في الحياة الدنيا مؤمناً متقياً لله، كمن كان فاسقاً خارجاً عن طاعة الله؟ ﴿لَا يَسْتَوُۥنَ﴾؛ أي: لا يستوون في الآخرة بالثواب والكرامة، كما لم يستووا في الدنيا بالطاعة والعبادة، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾؟

قال ابن كثير: «يخبر تعالى عن عدله وكرمه، أنه لا يساوي في حكمه يوم القيامة، من كان مؤمناً بآياته متبعاً لرسله، بمن كان فاسقاً؛ أي: خارجاً عن طاعة ربه، مكذِّباً لرُسُله إليه، كما قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية]، وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص]، وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحشر]؛ ولهذا قال تعالى ـ هاهنا ـ: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾﴾ [السجدة]؛ أي: عند الله يوم القيامة»[(١)].

ـ وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف]، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾ [الكهف].

قال ابن كثير: «لما ذكر تعالى حال الأشقياء، ثنى بذكر السعداء، الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين فيما جاؤوا به، وعملوا بما أمروهم به من الأعمال الصالحة، فلهم ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ والعدن: الإقامة»[(٢)].

ـ وأهل الحق ومن خالفهم على تنوُّع أشكالِهم فريقان، فإذا انتفى أحدهما ثبت الآخر، والإيمان والكفر لا يمكن أن يتساويان، ولكن هذه

(١) تفسير ابن كثير ٦/ ٣٦٩.
(٢) تفسير ابن كثير ٥/ ١٥٦.

سُنَّة الله في الحياة، أن يجتمع الضدان ليتبين فضل الخير بمعرفة شر الضد.

فلما أشار تعالى إلى أنه يحكم بين الطوائف يوم القيامة بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحج]، ذكر فيها المؤمنين وخمس طوائف ضالة، ثم قال بعدها: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾﴾ [الحج].

قال ابن عاشور عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٤١]: «ولما كان الإيمان والكفر نقيضين إذا انتفى أحدهما ثبت الآخر، كان النهي عن أن يكونوا أول الكافرين يستلزم أن يكونوا أول المؤمنين»(١).

❐ ثانياً: اقتران المؤمنين بالمنافقين:

ويتفرع من اقتران المؤمنين بالكفار، اقتران المؤمنين بالمنافقين على وجه الخصوص، وهو كثير في القرآن، **ومن الأمثلة على ذلك:**

ـ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾ [البقرة٤]، ثم قال بعدها: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾ [البقرة].

قال ابن كثير: «لما أخبر عن المنافقين بصفاتهم الذميمة، ذكر صفات المؤمنين الحميدة، فقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ﴾»(٢).

ـ وقوله تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [التوبة]، ثم قال بعدها: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ

(١) التحرير والتنوير ١/ ٤٤٥.
(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٥٦٤.

ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة].

قال الرازي: «قوله في صفة المنافقين: ﴿بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ يدل على أن نفاق الأتباع كالأمر المتفرع على نفاق الأسلاف، والأمر في نفسه كذلك؛ لأن نفاق الأتباع وكفرهم حصل بسبب التقليد لأولئك الأكابر، وبسبب مقتضى الهوى والطبيعة والعادة، أما الموافقة الحاصلة بين المؤمنين فإنما حصلت لا بسبب الميل والعادة، بل بسبب المشاركة في الاستدلال والتوفيق والهداية؛ فلهذا السبب قال تعالى في المنافقين: ﴿بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ وقال في المؤمنين: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾»[1].

وقال ابن كثير: «لما ذكر الله تعالى صفات المنافقين الذميمة، عطف بذكر صفات المؤمنين المحمودة، فقال: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾؛ أي: يتناصرون»[2].

ـ وقوله تعالى: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [الأحزاب].

ـ وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [الحديد]، ثم قال بعدها: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾ [الحديد].

كلُّ هذه الأمثلة وغيرها؛ من ذكر الضدِّ بعد الضد: أسلوب من أساليب القرآن المؤثِّرة؛ فبالضد تتبين الأشياء.

ـ قال تعالى: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزُّمر].

قال الزركشي: «وقوله: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ

(١) تفسير الرازي ١٦/ ١٠٤.
(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ١٧٤.

ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الزُّمر]، بقوله[١]: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ اعتراض واقع في أثناء كلام متصل، وهو قوله: ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ بِمَفَازَتِهِمۡ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾، وهو على مهْيَع[٢] أسلوب القرآن؛ من ذكر الضد عقب الضد؛ كما قيل: وبضدها تتبين الأشياء»[٣].

❐ ثالثاً: اقتران الجن والإنس:

بيَّن الله تعالى في كتابه حقائق عن الجن والإنس، وأُفردت سورة باسم الجن، وسورة باسم الإنسان، واقترنت هاتين الطائفتين كثيراً في القرآن.

قال الجاحظ: «وفي القرآن معان لا تكاد تفترق مثل: . . . الجن والإنس»[٤].

ـ ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام].

فاقترن الجن والإنس لبيان أن للأنبياء من الإنس شياطين، ومن الجن شياطين.

قال ابن كثير: «وقوله: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ﴾ بدل من ﴿شَيَٰطِينَ﴾؛ أي: لهم أعداء من شياطين الإنس والجن، ومن هؤلاء وهؤلاء، قبحهم الله ولعنهم»[٥].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ قَالَ

---

(١) المراد والله أعلم: تعقيب الآية بقوله.
(٢) المهْيَع: الطريق الواسع الواضح، ينظر: معجم مقاييس اللغة ٦/ ٢٥.
(٣) البرهان ٣/ ٦٠.
(٤) البيان والتبيين ١/ ٢٧.
(٥) تفسير ابن كثير ٣/ ٣١٩.

﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأنعام].

اقترن الجن والإنس هنا للدلالة على استمتاع هؤلاء بهؤلاء.

قال القرطبي: «﴿قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾؛ أي: من الاستمتاع بالإنس، فحذف المصدر المضاف إلى المفعول، وحرف الجر، يدل على ذلك قوله: ﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ وهذا يرد قول من قال: إن الجن هم الذين استمتعوا من الإنس؛ لأن الإنس قبلوا منهم. والصحيح أن كل واحد مستمتع بصاحبه»[(١)].

وقال ابن كثير: «ومعنى قوله: ﴿قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾؛ أي: من إضلالهم وإغوائهم، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يس]»[(٢)].

ـ وقوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء].

جاء الاقتران لتحدي الطائفتين عن الإتيان بمثل هذا القرآن، ولو كان بينهما من التعاون ما كان.

قال السعدي: «وهذا دليل قاطع، وبرهان ساطع، على صحة ما جاء به الرسول وصدقه، حيث تحدى الله الإنس والجن أن يأتوا بمثله، وأخبر أنهم لا يأتون بمثله، ولو تعاونوا كلهم على ذلك لم يقدروا عليه»[(٣)].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ [الجنّ].

هذه الآية على لسان الجن بأنهم ما حسبوا أن الإنس والجن يكذبون في نسبة الصاحبة والولد إليه، ولما سمعوا القرآن آمنوا به، وعلموا أنهم كانوا يكذبون على الله[(٤)].

---

(١) تفسير القرطبي ٧/ ٨٤.
(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٣٨.
(٣) تفسير السعدي ٤٦٦.
(٤) ينظر: تفسير الطبري ٢٣/ ٦٥٤.

قال ابن قتيبة: «يقولون: كنا نتوهم أنّ أحداً لا يقول على الله باطلا، يريدون: إنّا كنا قبل اليوم نصدّقهم ونحن نظن أن أحداً لا يكذب على الله، وانقطع هاهنا قول الجن»(١).

ـ وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ [الجنّ].

اقترنا هنا لأن الإنس صرفوا عبادة للجن، فزاد الجن طغياناً وتكبراً، والإنس خوفاً وذعراً(٢).

قال الطبري: «وقوله: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قِيل هؤلاء النفر: وأنه كان رجال من الإنس يستجيرون برجال من الجن في أسفارهم إذا نزلوا منازلهم»(٣).

ـ وقوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الأنعام].

في هذه الآية نداء للجن والإنس جميعاً، واستفهام تقرير يوم القيامة عن بلوغهم الرسالة وكفرهم بها.

قال ابن كثير: «﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾؛ أي: من جملتكم، والرسل من الإنس فقط، وليس من الجن رسل، كما قد نص على ذلك مجاهد، وابن جُرَيْج، وغير واحد من الأئمة من السلف والخلف»(٤).

وقال أبو السعود: «﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ هما الثقلان، خوطبا باسم جنسهما لزيادة التقرير»(٥).

ـ وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ

(١) تأويل مشكل القرآن ٢٤١.
(٢) ينظر: تفسير السعدي ٨٩٠.
(٣) تفسير الطبري ٢٣/ ٦٥٤.
(٤) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٤٠.
(٥) تفسير أبي السعود ٨/ ١٨١.

رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأعراف].

هذا خبر من الله جل ثناؤه يقول للمفترين المكذبين يوم القيامة: ادخلوا في جماعات قد سلفت من قبلكم من الجن والإنس في النار، ومعنى ذلك: ادخلوا في أمم هي في النار من النوعين ـ الجن والإنس ـ جزاء على كفرهم وضلالهم[١].

قال أبو حيان: «﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ﴾؛ أي: يقول الله لهم؛ أي: لكفار العرب وهم المفترون الكذب، والمكذبون بالآيات، وذلك يوم القيامة، وعبر بالماضي لتحقّق وقوعه»[٢].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف].

بيَّن الله تعالى أن الكفار من الجن والإنس ممن خُلق لجهنم، نسأل الله السلامة والعافية.

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: ولقد خلقنا لجهنّم كثيراً من الجن والإنس»[٣].

وقال ابن جزي: «هم الذين علم الله أنهم يدخلون النار بكفرهم؛ فأخبر أنه خلقهم لذلك»[٤].

واقتران الجن بالإنس لبيان عموم التكليف، وعموم الجزاء والحساب، وأن في الفريقين أعداء لأهل الخير، وأن الموسوس يكون من الجن ومن الإنس كما قال تعالى: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٦][٥]، إلى غير ذلك من الحكم والفوائد.

---

(١) تفسير الطبري ١٢/ ٤١٥.
(٢) البحر المحيط ٤/ ٢٩٧.
(٣) تفسير الطبري ١٣/ ٢٧٦.
(٤) التسهيل ١/ ٤٢٩.
(٥) ينظر: تفسير أبي السعود ٩/ ٢١٧.

والآيات في اقتران الجن والإنس كثيرة، وعند تأمل جميع المواضع نجد الإنس يُقدَّمون تارة، وتارة يُقدَّم الجن، والتقديم والتأخير ـ والله أعلم ـ حسب ما يناسب السياق.

فعندما يكون الحديث في السياق عن القوة فإنه يقدم الجن.

ـ كما قال الله جل وعلا: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ٣٣﴾ [الرَّحمٰن].

ـ ولما ذُكر جند نبي الله سليمان عليه السلام ـ وفيهم معنى القوة والإعجاز ـ قال سبحانه: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٧﴾ [النمل]، فقُدِّم الجن لمناسبته للسياق.

ولهذا استقر في طباع الإنس حتى قبل الإسلام أن الجن أقوياء فكانوا يهابونهم، ومنه قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقًا ٦﴾ [الجنّ].

ـ وكذلك لما جاء الكلام عن بداية الخلق قُدم الجن، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات]؛ لأنهم خُلقوا قبلُ، قال تعالى: ﴿وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ٢٧﴾ [الحجر].

قال الألوسي: «ولعل تقديم الجن في الذكر لتقدم خلقِهم على خلق الإنسان في الوجود»(١).

ـ وعند الحديث عن الإغواء والإضلال ـ وهو في الجن أكثر ـ قدِّم الجن، كما قال تعالى: ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ٣٨﴾ [الأعراف].

قال أبو حيان: «وقدّم الجنّ لأنهم الأصل في الإغواء والإضلال، ودلّ

(١) روح المعاني ٢٧/ ٢٠.

ذلك على أنّ عصاة الجنّ يدخلون النار»[١].

وقال الرازي: «لأن الكفر في الجن أكثر»[٢].

وقال أبو السعود: «وتقديم الجن لأنهما أعرف من الأنس في الاتصاف بما نحن فيه من الصفات، وأكثر عدداً وأقدم خلقاً»[٣].

ـ ولما كان الحديث عن البلاغة والفصاحة ـ وهي في الإنس أكثر ـ قُدِّم الإنس، قال الله جل وعلا: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء].

ـ ولما جاء الكلام عن أعداء الأنبياء ـ وأكثرهم من الإنس ـ قدِّم الإنس، فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام].

وتقديم الجن أكثر من تقديم الإنس في القرآن.

قال ابن القيم: «تقديم الجن على الإنس في أكثر المواضع؛ لأن الجن تشتمل على الملائكة وغيرهم مما اجتن عن الأبصار قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصَّافات: ١٥٨]»[٤]، فسبحان الحكيم العليم.

❐ رابعاً: اقتران اليهود والنصارى:

جاء اقتران اليهود والنصارى في القرآن كثيراً، وهما طائفتان من طوائف بني إسرائيل، **فاليهود**: هم أمة موسى عليه السلام، **واليهودية**: ـ في أصلها قبل أن يحرفها اليهود ـ هي الديانة المنزلة من الله تعالى على موسى عليه السلام، وكتابها التوراة، وهي الآن ديانة باطلة لأن اليهود حرفوها، ولأنها نُسخت بالإسلام.

ونلحظ في القرآن الكريم أنه حيناً يسميهم [بَنِي إِسْرَائِيلَ]، وإسرائيل هو لقب يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام وبنو إسرائيل هم ذريته.

---

(١) البحر المحيط ٤/ ٢٩٧.
(٢) تفسير الرازي ٢٨/ ١٩٩.
(٣) تفسير أبي السعود ٣/ ٢٩٥.
(٤) بدائع الفوائد ٢/ ٦٧.

وحيناً يسميهم: [الَّذِينَ هَادُوا] و[الْيَهُودُ]؛ لأنهم تسموا باليهود في عصورهم المتأخرة وكذلك جاء في السُّنَّة تسميتهم [بَنِي إِسْرَائِيلَ] و[الْيَهُودُ] أيضاً(١).

والنصارى: هم أمة عيسى عليه السلام، **والنصرانية**: ـ قبل التحريف ـ هي الدين المنزل من الله تعالى على عيسى عليه السلام، وكتابها الإنجيل.

وهي امتداد لليهودية؛ لأن بني إسرائيل حرفوا اليهودية ـ الدين الذي أنزله الله تعالى على موسى عليه السلام ـ وبدلوا التوراة، فأرسل الله نبيه عيسى عليه السلام إليهم مصححاً لما حرفوه، وليُحِل لهم بعض الطيبات التي حُرمت عليهم، ومبشراً بمحمد ﷺ رسولاً يأتي من بعده(٢).

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصَّف: ٦].

وعندما حصل التحريف في النصرانية، وتعددت الأناجيل، وتحول أتباعها عن التوحيد إلى الشرك المتمَثل بالتثليث، نُسخت بالإسلام فأصبحت باطلة لا تُقبَل عند الله.

ومن هنا يتبين أن بين الطائفتين علاقة وقرب زمني، وعند تأمل القرآن نجده كثيراً ما يقرن بين الطائفتين أو يثني بالحديث عن هذه ثم الأخرى، في أكثر من ثلاثين آية.

ومن الأمثلة على ذلك:

ـ قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ

---

(١) ينظر: الملل والنحل ١/ ١٧٧، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة ١٨، الموسوعة الميسرة ١/ ٤٩١، قيل: إنّهم سُمُّوا باليهود نسبة إلى [يهودا ابن يعقوب]، وقيل: سُمُّوا يهوداً أخذاً من قول موسى: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾؛ يعني: تُبْنا إليك، من (الهَوْد) وهو التّوبة والرُّجوع إلى الله تعالى. هذا في الأصل، ثم صار يُطلق لفظ اليهود على المنتسبين إلى اتِّباع موسى، وإن كانوا قد خالفوه في أشياء كثيرة، وكذبوا عليه، وأَحْدَثوا في دينِه الأشياء القبيحة من الشرك بالله والكلام في حق الله تعالى. ينظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد ٢/ ١٧١.

(٢) ينظر: الملل والنحل ١/ ١٨٧، الموسوعة الميسرة ٢/ ٥٥٩.

يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [المائدة].

فاقترن اليهود والنصارى في هذه الدعوى، فاتفق الفريقان في هذا القول الذي أكذبه الله.

قال السعدي: «ومن مقالات اليهود والنصارى أن كلاً منهما ادعى دعوى باطلة، يزكون بها أنفسهم، بأن قال كل منهما: ﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ﴾.

والابن في لغتهم هو الحبيب، ولم يريدوا البنوة الحقيقية، فإن هذا ليس من مذهبهم إلا مذهب النصارى في المسيح.

قال الله ردّاً عليهم حيث ادعوا بلا برهان: ﴿قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ﴾؟

فلو كنتم أحبابه ما عذبكم؛ لكون الله لا يحب إلا من قام بمراضيه»[(١)].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [البقرة].

قال ابن كثير: «يبين تعالى اغترار اليهود والنصارى بما هم فيه، حيث ادعت كل طائفة من اليهود والنصارى أنه لن يدخل الجنة إلا من كان على ملتها، كما أخبر الله عنهم في سورة المائدة أنهم قالوا: ﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ﴾ [المائدة: ١٨]، فأكذبهم الله تعالى بما أخبرهم أنه معذبهم بذنوبهم، ولو كانوا كما ادعوا لما كان الأمر كذلك، وكما تقدم من دعواهم أنه لن تمسهم النار إلا أياماً معدودة، ثم ينتقلون إلى الجنة، وردَّ عليهم تعالى في ذلك، وهكذا قال لهم في هذه الدعوى التي ادعوها بلا دليل ولا حجة»[(٢)].

---

(١) تفسير السعدي ٢٢٧.

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٣٨٤، وينظر: تفسير القرطبي ٢/ ٧٦.

وقال السعدي: «وذلك أنه بلغ بأهل الكتاب الهوى والحسد، إلى أن بعضهم ضلَّلَ بعضاً، وكَفَّر بعضهم بعضاً، كما فعل الأمِّيُّون من مشركي العرب وغيرهم.

فكل فرقة تضلل الفرقة الأخرى، ويحكم الله في الآخرة بين المختلفين بحكمه العدل»[(١)].

واقترن اليهود والنصارى في مواضع التحذير منهم:

ـ كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾ [المائدة].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ١٢٠﴾ [البقرة].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرُۨ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٣٠﴾ [التوبة].

في هذه الآية إشارة إلى اشتراكهم في قول الكلام الباطل، والجرأة على الله، فشابهوا الكفار من قبلُ في قولهم الملائكة بنات الله، تشابهت قلوبهم فتشابهت أقوالهم[(٢)].

قال ابن جزي: «﴿بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ يتضمن معنيين، أحدهما: إلزامهم هذه المقالة والتأكيد في ذلك، والثاني: أنهم لا حجة لهم في ذلك وإنما هو مجرد دعوى»[(٣)].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ﴾: «هذا لفظ خرج على العموم، ومعناه الخصوص؛ لأنه ليس كل اليهود قالوا ذلك، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، ولم يقل ذلك كل الناس»[(٤)].

---

(١) تفسير السعدي ٦٣.
(٢) ينظر: تفسير السعدي ٣٣٤.
(٣) التسهيل ١/ ٤٥٩.
(٤) تفسير القرطبي ٨/ ١١٧.

واقترن اليهود والنصارى لبيان الأقرب إلى المسلمين، وإلى ولايتهم ومحبتهم، وأبعدهم من ذلك.

ـ في قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [المائدة].

فاليهود والذين أشركوا هم على الإطلاق أعظم الناس عداوة للإسلام والمسلمين، والنصارى أقرب مودة للمؤمنين؛ للأسباب المذكورة في الآيات، **ومنها:**

١ ـ أن ﴿مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا﴾؛ أي: علماء متزهدين، وعُبَّاداً في الصوامع متعبدين، والعلم مع الزهد وكذلك العبادة مما يلَطِّف القلب ويرققه، ويزيل عنه ما فيه من الجفاء والغلظة، فلذلك لا يوجد فيهم غلظة اليهود، وشدة المشركين.

٢ ـ ومنها: ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾؛ أي: ليس فيهم تكبر ولا عتو عن الانقياد للحق، وذلك موجب لقربهم من المسلمين ومن محبتهم، فإن المتواضع أقرب إلى الخير من المستكبر[(١)].

وهؤلاء هم الذين قَبِلُوا رسالة محمد ﷺ، وآمنوا بها.

قال الطبري: «والصواب في ذلك من القول عندي: أنّ الله تعالى وصف صفة قوم قالوا: (إنا نصارى)، أن نبيّ الله ﷺ يجدهم أقربَ الناس وِداداً لأهل الإيمان بالله ورسوله، ولم يسمِّ لنا أسماءهم، وقد يجوز أن يكون أريد بذلك أصحابُ النجاشي، ويجوز أن يكون أريد به قومٌ كانوا على شريعة عيسى، فأدركهم الإسلام فأسلموا لما سمعوا القرآن وعرفوا أنه الحق، ولم يستكبروا عنه»[(٢)].

وقال ابن كثير: «أي: الذين زعموا أنهم نصارى من أتباع المسيح وعلى منهاج إنجيله، فيهم مودة للإسلام وأهله في الجملة، وما ذاك إلا لما في قلوبهم، إذ كانوا على دين المسيح من الرقة والرأفة، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا

(١) ينظر: تفسير السعدي ٢٤١.
(٢) تفسير الطبري ١٠/ ٥٠١، ٥٠٢.

فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ [الحديد: ٢٧]»[١].

وفي جميع مواضع اقتران اليهود والنصارى في القرآن تقديم اليهود على النصارى.

وقد ذكر العلماء حِكَماً أقربها: أنهم أسبق زماناً، وأقرب جواراً للمؤمنين.

قال الزركشي: «تقدَّم اليهود؛ لأنهم كانوا أسبق من النصارى، ولأنهم كانوا أقرب إلى المؤمنين بالمجاورة»[٢].

ولا شك أن كثرة اقتران اليهود والنصارى في القرآن؛ لِمَا بينهم من قواسمَ مشتركة، كما أخبر الله تعالى في غير ما آية، ومنها قوله سبحانه: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ [البقرة].

وبيَّن سبحانه أنهم أولياء بعض، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة].

وقال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة].

واليهود والنصارى يدَّعون أن أنبياء الله على ملتهم؛ فأكذبهم الله وقال: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾ [البقرة].

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ١٦٧.

(٢) البرهان ٣/ ٢٤٠.

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران].

فقد تقاربوا في زمانهم، واجتمعوا أيضاً في كثير من صفاتهم، فزمان النصارى بعد اليهود مباشرة وامتداداً لهم، حتى صاروا كالطائفة الواحدة، ولذا أطلق القرآن في بعض المواضع اسماً جامعاً لهم، وهو: الذين أوتوا الكتاب.

كما قال تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾ [آل عمران: ٢٠].

قال ابن عطية: «﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الذين أوتوا الكتاب في هذا الموضع: يجمع اليهود والنصارى باتفاق»[(١)].

واجتمعوا في كفرهم بنبوة محمد ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [البقرة].

وأُمِرنا بالدعاء في اليوم مراراً أن يجنبنا الله صراطهم، كما في قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

قال الزركشي ضمن بيان أن تقديم اليهود على النصارى لسبقهم: «وقد ينضم إليه التحقير كما في قوله: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾»[(٢)].

فاليهود والنصارى لم يُهدَوا الصراط المستقيم.

قال ابن تيمية: «واليهود مقصرون عن الحق، والنصارى غالون فيه»[(٣)].

وزاد تشابههم بعد معرفة الحق عند الجميع.

قال ابن عثيمين: «ولقد كان اليهود يوصفون بأنهم مغضوب عليهم؛ لأنهم علموا الحق وخالفوه، وكان النصارى يوصَفُون بأنهم ضالون؛ لأنهم

---

(١) المحرر الوجيز ١/٤١٩، وينظر: البحر المحيط ٢/٤٢٩.
(٢) البرهان ٣/٢٤٠.
(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ١/٦٦.